شبهات المستشرقين
(أسلوبًا، ومواجهة)

إعـداد
أ.د/ مصطفى مراد صبحي
الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب
كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة
جامعة الأزهر

ملخص البحث:

قام كثير من العلماء والباحثين بجهد مشكور في عرض شبهات وافتراءات المستشرقين وتفنيدها، غير أن التركيز على أساليب هذه الشبهات لم يكن بالكثرة التي كانت للشبهات.

ومن هنا يأتي هذا البحث ليلقي الضوء على أهم أساليب شبهات المستشرقين في طرح شبهاتهم حول الإسلام وما يتصل به، ومنها: الاعتقاد بالشبهة ثم الاستدلال عليها وتحريف النصوص لتحقيق هذا الاستدلال الخاطئ، والتوهم والتخيل والركون إلى الأساطير دون الأدلة المعتبرة.

ثم تناول الآثار المترتبة على أساليب شبهات المستشرقين، ومنها: انتشار كراهية الإسلام في المجتمعات الغربية، كما تضمن البحث كيفية مواجهة شبهات المستشرقين؛ حيث عرض أسباب قبول الشبهات والتأثر بها، وعرض خطة تفصيلية لمواجهة الشبهات على المستوى العام والخاص، كما بين وسائل المواجهة.

الكلمات الدالة:

شبهات–المستشرقين–أسلوب–مواجهة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمــــــــة

حمداً لله وصلاة وسلاماً على إمام المرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه وسلم... **أما بعـد؛؛؛**

فإن كثيراً من المستشرقين أثاروا شبهات وزعموا مزاعم حول الإسلام وتعاليمه ونبيه ﷺ، واستعملوا لأجل ذلك أساليب ماكرة وحيلاً خادعة وطرقاً مزخرفة؛ ليضلوا الناس ويشككوهم في دينهم، ويحولوا بين الغرب وبين الإسلام.

وقد رأيت كثيراً من العلماء والباحثين قد قاموا بجهد مشكور في عرض شبهات وافتراءات المستشرقين وتفنيدها، لكنني لم اعثر على بحث مستقل عن أساليب هذه الشبهات فأردت أن أجلي الحقائق فيها، وأبين كيفية مواجهتها دارئاً لمزاعمهم . على وجه الإيجاز . محذراً المسلمين من أباطيلها وترهاتها.

وقد اتبع هذا البحث المنهاج التحليلي النقدي.

وقسمته إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

. في المقدمة ذكرت أهمية البحث ومنهاجه وخاتمته.

. وقام المبحث الأول على مطلبين: الأول: أهم أساليب شبهات المستشرقين.

والمطلب الثاني: آثار أساليب شبهات المستشرقين.

. وتضمن المبحث الثاني: مواجهة شبهات المستشرقين كما يلي:

أولاً: أسباب قبول الشبهات.

ثانياً: المواجهة الخاصة للشبهات.

ثالثاً: طرق دحض الشبهات.

رابعاً: المواجهة العامة للشبهات.

. وفي الخاتمة ذكرت نتائج البحث وتوصياته وفهارسه.

وإني سائل العلماء إصلاح زلله وإكمال نقصه،عسى الله . جل وعلا . أن ينفعني به.

مصطفى مراد صبحي

الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب

١٩/ ٧/ ٢٠١١م

المبحـــث الأول
أساليــب شبهـات المستشرقـين

النص . سواء كان قرآنياً أو نبوياً أو تراثياً.. . تختلف أساليب المستشرقين في التعامل معه، فمنهم من ينكره رأساً، ومنهم من يشكك فيه، ومنهم من يؤوله، ومنهم من يحرفه بالزيادة والنقصان، ومنهم من يحمله على محمل خاص، ومنهم من يقتطع جزءاً منه ولا يأتي به كاملاً.

وهذا يبرهن على قلة الأساليب وكثرة الشبهات.

ومرد الشبهات وأساليب طرحها في أعمال المستشرقين خاصة راجع لأمرين، أحدهما: سوء النية.

والآخر: الجهل باللغة العربية وعلوم الإسلام.،

وقد يجتمعان في مستشرق واحد خاصة صغار المستشرقين.

ولولا أن هؤلاء يدعون أنهم يتبعون أساليب النقد العلمي وقوانين البحث المنهجي، ويخدعون غير المختصين ما أتعب العلماء والباحثون أنفسهم، في تفنيد مزاعمهم ودحض افتراءاتهم.

وحق لا ريب فيه ويقين لا شك فيه أنه لا يتورع أكثر المستشرقين في عرض مطاعنهم وافتراءاتهم عن استعمال كافة الأساليب المتاحة في ميدان البحث العلمي سواء كانت أساليب مقبولة أو مرفوضة، صحيحة أو خاطئة، مباحة أو محرمة، قوية أو ضعيفة.

إذ إنهم حولوا أعمالهم العلمية إلى حرب ضروس لا تعرف رحمة ولا شفقة ولا خلقاً ولا ديناً ولا تُسَلم لعلم حديث ولا لواقع معاصر، ولا لحجة عقلية.

هذا وإن كان الغرض واحداً والأساليب متشابهة والوسائل مشتركة، فإن فريقاً منهم قد جمع هذه الأساليب وخلطها.

ومنهم من اكتفى ببعضها أو تميز بأسلوب معين في كتاباته.

وترى المستشرق الواحد يلبس لكل نص . أو قضية . ثياباً خاصاً.

ونظراً لما تتمتع به أعمال المستشرقين من الشمول والتنوع والاستمرار والتعاون وتكامل الجهد وكثرة الدراسات والتخصص الدقيق والبحث الميداني والعمل الدءوب، فإن الشبهات والافتراءات التي افتروها لا يمكن حصرها، فهم لم يتركوا فناً إلا ولجوه ولا علماً إلا أفسدوه ولا نصاً إلا حرفوه ولا حقاً إلا أبطلوه ولا باطلاً إلا نصروه.

ويشير المستشرق المسلم ناصر الدين دينيه [(١)] في كتابه أشعة خاصة بنور الإسلام [(٢)] إلى كثرة الشبهات فيقول: إن أهل السوء من أهل الكتاب، لا ينفكون يهاجموننا نحن المسلمين بالأباطيل ويحاربوننا بالمفتريات، وإذا نحن شئنا أن نحصي أكاذيبهم كانت فيها صفحة هي أسود الصفحات في سجل التعصب، يشترك في تسويدها أعداء الإسلام قديمهم وحديثهم، سواء منهم العلماء والرواد والقساوسة ورجال الحكومات والكُتّاب.

وأساليب وضع الشبهات والأباطيل كثيرة ومتعددة، فهناك أساليب تظهر تارة وتختفي تارة أخرى بسبب مجال البحث، فمثلاً أسلوب الاعتماد على الروايات المنكرة يكون غالباً في الدراسات المتصلة اتصالاً مباشراً بالأسانيد والمتون كالأحاديث النبوية

(١) المستشرق الفرنسي الفونس إتيين دينيه (١٨٦١ . ١٩٢٩م) الذي أعلن اعتناقه للإسلام في الجزائر سنة ١٩٢٧م وتسمى باسم ناصر الدين دينيه، وتوفى في بلدة بوسعادة بالجزائز بناءً على وصيته التي جاء فيها: أنه لم يُسلم لمطمع أو مغنم، وإنما لقناعته التامة بالإسلام ومبادئه، ومن مؤلفاته كتاب: ١ . (أشعة خاصة بنور الإسلام)، الذي يرد فيه على أباطيل وافتراءات المستشرقين أمثال: ديفيد صموئيل مرجليوث، والأب هنري لامنس وغيرهما الذين يعتقدون أن الإسلام نقال عن الديانات والفلسفات السابقة عليه.

٢ . وكتابه: الشرق كما يراه الغرب) الذي يؤكد فيه أن المستشرقين الغربيين يكتبون عن النبي ﷺ من خلال صورة مشوهة رسخت في أذهانهم.

٣ . وكتابه: (السيرة النبوية) الذي يحكي فيه سيرة الرسول ﷺ معتمداً على القرآن العظيم والأخبار المقبولة في كتب السنة والسيرة والتاريخ، وكتاب: حياة الصحراء، وكتاب: السراب، وكذا كتاب: حياة العرب الذي ملأه بلوحاته البديعة، وكتاب: ربيع القلوب، وأهم كتبه كتاب: (محمد رسول الله ﷺ) . بالاشتراك مع سليمان بن إبراهيم، وهو كتاب ممتع ونافع يدل على فهمه الصحيح للإسلام، ويرد فيه بإنصاف على افتراءات المستشرقين على الإسلام ورسوله ﷺ، راجع مقدمة كتابه: محمد رسول الله، ترجمة: د/ عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.

(٢) د/ عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، ص ٣١، ٣٢، ط. دار المعارف.

والروايات التاريخية.

وهناك أساليب منتشرة وذائعة في سائر الميادين وكافة المجالات التي ضمها الإسلام، وأهمها:

. الاعتقاد ثمَّ الاستدلال. . تشويه صورة الدين.

. التحريف. . الاختلاق والخداع.

وأحياناً تجد تداخلاً بين عدة أساليب في شبهة واحدة.

المطلب الأول

أهم أساليب شبهات المستشرقين

وإليك أهم الأساليب التي يستعملونها أثناء وضع الشبهات:

أولاً: الاعتقاد ثم الاستدلال:

إن المستشرقين عندما يدرسون الإسلام ينطلقون من سوء نية وفساد طوية ودعاوى زائفة وأفكار ضالة، وتخيلات باطلة، وتصورات كاذبة.

وهذا يتناقض تمام التناقض مع مناهج وغايات البحث العلمي، ولا يستطيع أكثر هؤلاء التخلص من هذه الأوهام، لأنها غرست فيهم منذ الصغر في البيئة والمدرسة والكنيسة، ثم في المشروع الاستشراقي،وهذا الذي حال بين كثير منهم وبين اعتناق الإسلام.

يشير الباحث الغربي جيمس وولتز في دراسة له عن موقف الغربيين من المسلمين إلى أن المترسخ في أذهان الأوربيين عن الإسلام هو صورة قاتمة، وذلك بسبب العداء الذي أذكاه موقف البابوات من الإسلام منذ اندلاع الحروب الصليبية وإلى أيام استعمار الغرب للعالم الإسلامي الذي لم ينته إلا منذ بضعة عقود (١).

فهم يؤمنون بفكرة سابقة ثم يضعون أدلة تؤيدها مهما كانت موضوعة أو

(١) سليمان ميخائيل، صورة العرب في عقول الأمريكيين، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

واهية أو محرفة أو مبتورة.

ويعلن عن موقفه السابق عن الإسلام تبعاً لآراء الكنيسة الكاثوليكية من كراهيتها للإسلام وللنبي ﷺ المستشرق الأمريكي المعاصر مونتغمري وات [١] فيقول: ولا يعني هذا أنني أرى من الضروري اتخاذ وجهة نظر مادية لضمان حياد المؤرخ، بل أنا . على العكس . أعبر كمؤمن موحد صريح، ولا شك أن هذا الموقف الأكاديمي ناقص نوعاً ما" [٢] .

ثانياً: الحقد والتعصب والتحيز:

إضمار الحقد والكيد للإسلام دأب كثير من المستشرقين يقول الأستاذ: محمد أسد . المستشرق اليهودي النمساوي الذي أسلم .،: (يعتقد الأوربيون أن تفوقهم العنصري على سائر البشر أمر واقع، ثم إنَّ احتقارهم بعيد أو قريب لكل ما ليس أوربياً من أجناس الناس وشعوبهم قد أصبح إحدى الميزات البارزة في المدنية الغربية) [٣].

ويقول المستشرق فرانتزر روزنتال في كتابه: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي [٤]: إنَّ أحكام أ.كين وآرثر ميلر وغيرهما من المستشرقين المتحيزة التي تشوه الصورة العامة للحضارة الإسلامية لا قيمة علمية لها، وذلك إذا ما تعمقنا في دراسة البحث العلمي عند المسلمين ودراسة الأدب والفلسفة والتاريخ [٥]. ويكفينا في تقرير هذا الأسلوب أن تراجع أعمال ودراسات المستشرق الإنكليزي هاملتون جب (١٨٩٥ . ١٩٧١م) وجولد زيهر، واليهودي يوسف

---

(١) مونتغمري وات: إنجليزي، عميد قسم الدراسات الإسلامية في أدنبره، من مؤلفاته: عوامل انتشار الإسلام، المستشرقون، للعقيقي ٢/ ١٣٢.

(٢) وات، محمد في مكة، المدخل، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ت.

(٣) في كتابة: الإسلام على مفترق الطرق، ص ٢٣، ترجمة: عمر فروخ، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

(٤) ص ١٤، ١٧، ط. دار الثقافة، بيروت، سنة ١٩٨٠م

(٥) محمد رسول الله، تأليف: ايتين دينيه وإبراهيم سليمان، ص ٤٢، ط. دار المعارف، مصر.

شاخت وصموئيل هنتغتون، وأندريه ميكال وبرنارد لويس (١٩١٦ . ٢٠٠٤م) [١] ورينان [٢] ومرجليوث (ديفيد صموئيل مرجليوث)، ونولدكه [٣] والمستشرق الأمريكي ماكدونلد (١٩٤٣م) والفرنسي كاردة فو (١٩٥٣م) وأبرز من عرف عنه هذا الأسلوب الأب هنري لامنس البلجيكي [٤] الذي يعد أشد المستشرقين عداوة للإسلام وتعصباً للمسيحية وبعداً عن النزاهة في البحث والأمانة في نقل النصوص وفقهها والإحالة فيها، فأبحاثه المتعلقة بالسيرة النبوية ومنها: مكة عشية الهجرة، مدينة الطائف العربية عشية الهجرة، غربي الجزيرة العربية قبل الهجرة الذي يتكلم فيه عن اليهودية والنصرانية وديانات العرب.

ثالثاً: التوهم والتخيل والركون إلى الأساطير والتّرهات:

تفنن المستشرقون في رسم آلاف الصور الخيالية المليئة بالأوهام عن النبي ﷺ والإسلام، وأطلقوا لأنفسهم العنان في نسج الأباطيل بناءً على ذلك.

يذكر د/ مصطفى السباعي: أنه من غريب الأباطيل التي يروجها المستشرقون ما حدثه الدكتور/ وصفي أبو مغلي عن أستاذه الدكتور/ بحر محمد بحر وهو سوداني ويعمل مدرساً في جامعة عين شمس في مصر أنه حينما كان يدرس في إنجلترا قال أحد المدرسين وهو يتحدث عن الحضارة الإسلامية: كان إله محمد الناقة التي كان يركبها، والدليل على ذلك أنه حينما هاجر إلى المدينة ودعاه أهلها للنزول عندهم قال لهم: دعوا الناقة حيث تبرك، فاستدل من ذلك على أنه كان يعبد الناقة

(١) (١٩١٦ . ٢٠٠٤م) إنجليزي، أستاذ دراسات الشرق الأدنى ببرنستون، من مؤلفاته: العرب في التاريخ، أصول الإسماعيلية، المستشرقون ٢/ ١٤٣.

(٢) رينان (١٨٢٣ . ١٨٩٢م) فرنسي، ملحد، من رواد العنصرية، من مؤلفاته: حياة يسوع، ابن رشد، انظر: العقيقي: المستشرقون ١: ١٩١، ط/ القاهرة، سنة ١٩٦٥م

(٣) تيودور نولدكه (١٨٣٦ . ١٩٣٠م) من كبار المستشرقين، أستاذ التاريخ الإسلامي في جونتجن، من مؤلفاته: تاريخ النص القرآني، المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٧٩.

(٤) أكثر المستشرقين المعاصرين عداءً للإسلام، من مؤلفاته: الإسلام عبر التاريخ، اليهود في الإسلام، عودة الإسلام، الساءمون والمعادون للسامية، الإسلام والغرب، اللغة السياسية للإسلام، الشرق الأوسط، أين الخلل؟ وأزمة الإسلام (صنفه سنة ٢٠٠٣م).

ويتلقى منها الوحي!!! [١].

ولم يكن هذا التوهم خاصاً ببعض المستشرقين بل كان دأباً عاماً لجمهورهم.

يقول وات: ليس بين رجال العالم رجل كثر شانئوه كمحمد.. فلقد كان الإسلام خلال قرون عدة العدو الأكبر للمسيحية.. وأخذت الدعاية الكبرى في القرون الوسطى تعمل على إقرار فكرة العدو الأكبر في الأذهان، حتى ولو كانت تلك الدعاية خالية من كل موضوعية.. حتى إذا ما حل القرن الحادي عشر كان للأفكار الخرافية.. في أذهان الصليبيين أثر يؤسف له... ولما وجدوا بين هؤلاء الأعداء كثيراً من المحاربين الفرسان شعروا بالريبة من السلطات الدينية المسيحية، ولهذا حاول بطرس الراهب [٢] أن يعالج هذا الموضوع بإذاعة معلومات أصدق عن محمد والديانة التي يدعو إليها، وقد حدث فيما بعد تطور كبير في هذا السبيل.. وإن ظل كثير من الأوهام عالقاً في الأذهان [٣].

ويزداد الأمر خطورة عندما نعلم أنهم حولوا عقائدهم وأقاويلهم في المسيح ﵇ إلى المسلمين، حيث زعموا أن المسلمين يعتقدون هذه المعتقدات في محمد ﷺ.

يقول إميل درمنجم في كتابه حياة محمد [٤]: لما نشبت الحرب بين الإسلام والمسيحية اتسعت هوة الخلاف وسوء الفهم . بطبيعة الحال . وازدادت حدة، ويجب أن يعترف الإنسان بأن الغربيين كانوا السابقين إلى أشد الخلاف، فمن الغربيين من أوفروا الإسلام احتقاراً من غير أن يكلفوا أنفسهم.. مؤونة دراسته، ولم يحارب الكتاب والنظَّامون مسلمي الأندلس إلا بأسخف المثالب، فقد زعموا أن محمداً لص نياق [٥]،

---

(١) د/ عبد الرحمن حبنكه الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٥٤، دار القلم، دمشق، ط/٨، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) بطرس الناسك (١٠٥٠ . ١١١٥م) راهب فرنسي دعا إلى الحملة الصليبية الأولى.

(٣) محمد في المدينة، مونتغمري وات، ص ٤٩٣.

(٤) ص ١٣٥ وما بعدها باختصار.

(٥) هكذا في الترجمة، والأقرب أنه يعني أَنْوَك، والأنوك: الأحمق، وحاشاه ﷺ.

وزعموه متهالكاً على اللهو، وزعموه ساحراً، وزعموه رئيس عصابة من قطاع الطرق، بل زعموه قساً رومانياً مغيظاً محنقاً أن لم ينتخب لكرسي البابوية،وحسبه بعضهم إلهاً زائفاً يُقرِّب له عُبَّاده الضحايا البشرية.

وإنَّ جبيردي نوجن نفسه . وهو رجل جد . ليفقد توازنه، فيذكر أن محمداً مات في نوبة سكر بين، وأن جسده وُجد ملقى على كوم من الروث، وقد أكلت منه الخنازير، وذلك ليفسر السبب الذي من أجله حُرم الخمر وحرم لذلك لحم الحيوان [١].

وذهبت الأغنيات إلى حد أن جعلت محمداً صنماً من ذهب، وجعلت المساجد الإسلامية برابي ملأى بالتماثيل والصور، وقد تحدث واضع أغنية أنطاكية حديث من رأى صنم محمد مصنوعاً من ذهب ومن فضة خالصين، وقد جلس فوق فيل على مقعد من الفسيفساء، أما أغنية "رولان" التي تصوِّر فرسان "شارلمان" يحطمون الأوثان الإسلامية، فتزعم أن مسلمي الأندلس يعبدون ثالوثاً مكوناً من ترفاجان، ومأهوم،وأبولون..، وتحسب قصة محمد " أن الإسلام يبيح للمرأة تعدد الزواج" [٢].

وقد ظلت حياة الأحقاد والخرافات قوية متشبثة بالحياة... حيث وصفوا محمداً ﷺ بأنه دجال، والإسلام بأنه مجموعة الهرطقات كلها، وأنه من عمل الشيطان، والمسلمين بأنهم وحوش، والقرآن بأنه نسيج من السخافات.

رابعاً: تشويهُ كل ما يتعلق بالإسلام عقيدة وشريعة وأدباً وحضارة وفكراً وتراثاً وتاريخاً ولغة وأنظمة:

وذلك منذ ظهور الإسلام وإلى يومنا هذا، فقد غرست الكنيسة الكاثوليكية . وغيرها . في عقول أتباعها بذور الحقد والعداء لهذا الدين وأهله منذ نعومة أظفارهم

(١) اعتقاداً منه بأن المسلمين هم الذين حرموا الخمر ولحم الخنزير، وهذا جهل مُطبق. فالقرآن الكريم قد حرمهما في حياة النبي ﷺ.

(٢) أرأيتم إفكاً أعظم من هذا الإفك المفترى؟!؟

(٢) موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص ٩، ١٠.

بغية الحيلولة بين أبناء الغرب وبين اعتناق الإسلام، ودفعهم لمحاربته وهدمه.

وقد أقرت الكنيسة بذلك.

فمنذ صدور الوثيقة التي وزعتها أمانة سر الفاتيكان على مجمعها الثاني لغير المسيحيين، والتي تدعو فيها إلى إزالة الصورة البالية الموروثة عن الماضي، أو المشوهة بكثير من المطاعن والمزاعم المسيحية عن الإسلام،وقد أقرت فيها بأخطاء الماضي وانحرافاته التي اقترفها الغرب أو النشأة المسيحية بحق المسلمين،إنها تنتقد مفاهيم المسيحيين الخاطئة عن قدرية الإسلام، وتمسكه بالتشريع وتعصبه... [١].

ولا يتسع المقام لذكر آلاف الآلاف من دراسات المؤسسة الاستشراقية التي تولت كبر هذا المخطط لكن يكفينا فقط أن ندل القارئ على تصانيف المستشرقين المجحفين من أشياع: الفرد جيوم، وجولد زيهر [٢] والأب هنري لامنس ومرجليوث،ونولدكه وكيتاني،وجورج بوش الجد [٣] و. ل. جوتيه [٤]،وآرثر جيفري[٥].

والفرد جيوم [٦] وأندري ميكال [٧] وكارل بروكلمان ورايموند شال وغوستاف فون غرونباوم [٨].

خامساً: التشكيـك:

ومن الأساليب الماكرة التي استعملها المستشرقون في وضع افتراءاتهم أسلوب

(٢) جولد تزيهر أجناس Goldziher IGnaz (١٨٥٠ . ١٩٢١م) مستشرق مجري الأصل ويهودي الديانة، ترقى إلى درجة أستاذ في الجامعة المجرية، وزود المكتبات العلمية بغزارة إنتاجه لكن أشهر مصنفاته كتاب: العقيدة والشريعة في الإسلام.

(٣) صاحب كتاب: محمد مؤسس الدين الإسلامي.

(٤) ل. جوتيه فرنسي متعصب ضد الإسلام والأجناس غير الآرية، المستشرقون، ص ١٢٣. .

(٥) متعصب سافر ضد الإسلام، وله: الكلمات الدخيلة في القرآن، ومصادر تاريخ القرآن، والقرآن كتاب ديني.

(٦) الفرد جيوم (١٨٨٨ . ١٩٦٢م) تخرج في جامعة أكسفورد، وعمل في بلاد عديدة، من مؤلفاته: الإسلام، لندن ١٩٥٤م.

(٧) (١٩٠٩ . ١٩٧٢م) نمساوي متأمرك، أستاذ الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا، من مؤلفاته: المسلمون، المستشرقون ٣/ ١٧٠.

(٨) (١٩٢٩ .) فرنسي، تلميذ بلاشير، عمل بوزارة الخارجية الفرنسية، ثمَّ أستاذاً في جامعة باريس، من مؤلفاته: الإسلام وحضارته، المستشرقون ١/ ٣٧٩.

التشكيك في مصادر الإسلام وتراثه وتاريخه.

قال كوسان دبرسيفال في كتابه:تاريخ الإسلام ص ٣٣٦:إنَّ مكة لم تؤسس إلا في القرن الخامس الميلادي.

وهو يستهدف التشكيك في قول الله . تعالى . ژ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ژ (آل عمران: ٩٦)، لأن من المعروف أن بيت المقدس كان قبل الميلاد بنحو ألف عام، والبيت الحرام قبل ذلك بكثير، فتكون الآية طبقاً لقول كوسان مكذوبة، إذ إنه لا معنى لبناء بيت الله دون عباد يعبدونه فيه، وهو كذلك تكذيب بالآيات التي نزلت تحكي ذهاب إبراهيم عليه السلام إلى وادي مكة وبنائه مع ابنه إسماعيل الكعبة، وان إسماعيل كان يعيش في المنطقة مع آخرين من جرهم" [١].

كما أن هذه الدعوى ينقصها التاريخ والجغرافيا وعلم الديموغرافيا (إحصاء السكان)، وعلم الاجتماع..

ناهيك عن إخوانه من المستشرقين الذين كذبوا هذا الزعم، ومنهم جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب [٢]،الذي ذكر أن العرب في مكة ظهروا قبل الرومان،فقال:والعرب هؤلاء . أي عرب مكة وما حولها . قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كثيرة.

وهناك علوم إسلامية نظر إليها المستشرقون من أول وهلة بشك خالص، من أهمها علم أسانيد الحديث النبوي.

يقول المستشرق روبسون [٣]: الاتجاه السائد بين علماء الغرب هو النظر إلى

---

(١) د/ عبد المتعال الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ص ٢٥٠ بتصرف.

(٢) حضارة العرب، ص ٩٧، وأيضاً ص ٩٩، ص ١٠٠، نقله إلى العربية: عادل زعيتر، ط. عيسى الحلبي، ط/٣، سنة ١٩٥٦م.

(٣) جيمس روبسون: ولد سنة (١٨٩٠) تخرج من جامعة جلاسجو.Glascow في بريطانيا، وحصل على الماجستير والدكتوراه في الأدب، اختير معيداً للإنجليزية في لاهور.. وعين أستاذاً للعربية في جامعة مانشستر، من مؤلفاته: محمد في الإسلام، السنة (الأساس الثاني للإسلام)، الحديث: تصنيف وفهرسة، المعايير التي طبقها علماء الحديث المسلمين، تعاليم محمد عن عيسى...، المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٢٤، ١٢٥.

الأسانيد بحذر كبير بل بشك محض، والنظرة السائدة هي أن الأسانيد عبارة عن تطور لعصر متأخر لتدعيم المادة التي تقبل بأنها موثقة، ويمكن أن يكون هذا في العديد منها، وربما في معظم الحالات، لكن الكاتب اليوم ليس مهيئاً لإنكار مصداقية جميع الأسانيد [١]، وكلما درس المرء الأسانيد محاولاً الحكم على صحة الأحاديث يشعر أنه متورط في السير في طريق مغلق؛ لذا لعله من المفيد المضي إلى الأحاديث نفسها والنظر في نماذج تتكرر كثيراً [٢].. وهل سيثبت هذا أننا في طريق مسدود" [٣].

وإذا كان المستشرق قد بني أفكاره عن الإسلام على الشك أصلاً فلا يخرج منه إلا التشكيك [٤].

سادساً: التحريف للنصوص بالزيادة أو النقصان أو بهما معاً:

ويدخل فيه تحريف المعنى الظاهر المستبين عن فحواه ومضمونه، وهذه سمة بارزة لأعمال أناسي كثيرين منهم، يقول المستشرق أتيين دينيه (١٨٦١ . ١٩٢٩م) في كتابه:محمد رسول الله ﷺ [٥]: إنه من المتعذر إن لم يكن من المستحيل، أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم وبيئتهم ونزعتهم المختلفة، وأنه لذلك قد بلغ تحريفهم لسيرة النبي ﷺ والصحابة مبلغاً يغشى على صورتهم الحقيقية من شدة التحريف فيها.. إنَّ المستشرقين يقدمون إلينا صوراً خيالية هي أبعد ما تكون عن الحقيقة.

---

(١) ومتى يهيأ؟!!!. سبحان الله أإذا كان المرء عاجزاً عن الإحاطة بملكات علم عزيز الشأن كعلم الجرح والتعديل.. يلوم العلم أم يلوم نفسه وجهله..؟!

(٢) لم يفقه علل التكرار ومظاهره وأساليبه، فادعى هذه الدعوى.

(٣) د/ مصطفى بن عمر حلبي،مناقشة آراء المستشرق روبسون، المؤتمر الدولي (المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية ج ١ ص ٢٢٢.

(٤) في مادة أصول من دائرة المعارف الإسلامية (٤/ ٨٢٩) وما بعدها، كتب المستشرق الألماني اليهودي: يوسف شاخت (١٩٦٩م) يشكك في القرآن العظيم، وكتب مونتغمري وات في مادة عائشة يشكك في صلاحها وتقواها < ٢٢/ ٣٠٣٠٧.. ونماذج هذا لا تنحصر.

وأوضح مثال واقعي على التحريف في بحوث المستشرقين دائرة المعارف الإسلامية [١] والتي تعتبر أهم مؤلف استشراقي على الإطلاق التي تأسست في هولندا في مطلع القرن الميلادي الماضي.

ومن فرسان هذا الأسلوب جولد تسيهر اليهودي المجري فقد نقل عن الزهري [٢] أنه قال: إنَّ هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث . أي تدوين السنة النبوية، فحرَّفها جولد تسيهر إلى لفظ أكرهونا على كتابة أحاديث، وفرق بين "أحاديث" وبين "الأحاديث"، فلفظ أحاديث يجعل قراء الحديث يشكون في صحة الحديث الذي يقرأونه ويوهمنا أن الأمراء حرفوا الدين فأكرهوا العلماء على كتابة أحاديث غير الحق.

وهكذا حرف جولد تسيهر قول وكيع [٣] عن زياد بن عبد الله [٤]، إنه أشرف

---

(٤) ص ٤٢، ط/ دار المعارف، مصر.

(١) دعوا إليها سنة ١٩٨٥م، وبدأ تأليفها سنة ١٩٠٦م، ومن أول من بادر بها هورتسما، وحرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند ثمَّ حل محله فنسنك سنة ١٩٢٤م، وتولى تحرير النسخة الألمانية شادة وهارتمان وبوبير وهفننك، وتولى تحرير النسخة الفرنسية رينية باسة.. وتولى تحرير النسخة الإنجليزية أرنولد ثمَّ عهد بالمقالات في كل موضوع إلى مستشرقين آخرين بلغ عددهم (٤٨٦) كاتباً في الإصدار الأول والثاني، حرروا ٣٩٣ مادة.. وقد علق على بعض مواد الإصدارين فريق من العلماء.

وقد عُربت الدائرة في ثلاث إصدارات:

١ . الإصدار الأول الذي خرج سنة ١٩٣٣م في خمسة عشر مجلداً، ط/ دار الفكر بالقاهرة.

٢ . الإصدار الثاني ظهر سنة ١٩٦٩م، في ستة عشر مجلداً.

٣ . الإصدار الثالث الذي أصدره مركز الشارقة للإبداع الفكري سنة ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م، وترجمت فيه سائر مواد الدائرة وبلغ ٣٢ مجلداً.

ويحسب لقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة أنه قام بدراسة تحليلية نقدية لموضوعات الدائرة عن طريق وضع أطروحات للتخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) في ذلك.

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله عبد الله بن شهاب الزهري، أبو بكر، الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة خمس وعشرين ومائة، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتين. تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ج ٢ ص ٢٠٧، تحقيق: د/ عبد الوهاب عبد اللطيف، ط/٢، سنة ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م.

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي، أبو سفيان الكوفي، ثقة حافظ عابد مات سنة ست وتسعين ومائة، تقريب التهذيب، ج ٢ ص ٣١.

(٤) زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري، أبو محمد الكوفي، صدوق ثبت في المغازي، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة. تقريب

من أن يكذب، فقال اليهودي جولد إنه كان مع شرفه في الحديث كذوباً، فوكيع يجعل زياداً ثقة وجولد تسيهر يجعله بتحريفه غير ثقة . كذاباً . وبهذا ينقلب المعنى إلى الضد [١].

وهذا الأسلوب الماكر لا يتفطن إليه إلا جهابذة النقاد.

سابعاً: التدليس والدس:

ومن أساليبهم المشتهرة أيضاً التدليس القائم على ضم زيادات أو إضافات ليست في النص أو الموضوع، أو مسألة البحث تضليلاً وتشكيكاً.

ومن نماذج هذا: قول كارل بروكلمان [٢] لسنا نعلم علم اليقين السنة التي ولد فيها النبي ﷺ، والمشهور أن ولادته كانت حول سنة ٥٧٠م ولكن الذي لا شك فيه أنها متأخرة عن ذلك بعض الشيء.

يقول مترجم كتابه في الهامش: إنه يعتمد في هذا على كتاب الأب هنري لامنس اليسوعي، ويعلق المعرب على هذا فيقول: كانت ولادة محمد ﷺ عام ٥٧٠ . ٥٧١ للميلاد على وجه التقريب، ولكن لم تكن بعد ذلك بزمن طويل، والأب هنري لامنس اليسوعي قد حاول أن يؤخر ذلك عشر سنوات حتى ينقض القول الشرعي الذي يقول: إن محمداً ﷺ بعث على رأس الأربعين من عمره، ويخرج إلى القول أنه مادام الأنبياء يبعثون على رأس الأربعين ومحمد قد صدع بالدعوة على رأس الثلاثين فمحمد ليس نبياً.. ولامنس غير ثقة في البحوث الإسلامية لأن غايته الدس لا البحث

التهذيب، ج ١ ص ٢٦٨.

(١) د/ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع، ص ٢٤، ٢٥، د/ عبد المتعال الجبري، الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، ص ٢٣٨.

(٢) الألماني (١٨٦٨ . ١٩٥٦م) ولد في رستوك، وتخرج في اللغات السامية على أعلام المستشرقين ومنهم نولدكه، وقد اشتهر بروكلمان في فقه العربية، والتاريخ الإسلامي، وكان ضليعاً في تاريخ الأدب العربي، عين أستاذاً في عدد من الجامعات الغربية، كما عين عضواً في عدد من المجامع اللغوية، يعد من أكثر المستشرقين غزارة في الإنتاج العلمي في الدراسات العربية، المستشرقون للعقيقي ٢/ ٤٢٤ . ٤٣٠.

عن الحقيقة.

ويلام بروكلمان على الأخذ برأس لامنس [1]، فلامنس معروف في أوربا بهذه النزعة.

. وقد يكون التدليس والدس بكلمة واحدة ولو من طرف خفي زيادة في الخداع والمكر.

فهم عندما يترجمون القرآن الكريم يصفونه في صفحة الغلاف بأنه قرآن محمد، كتاب محمد، القرآن العربي، وبعض المستشرقين يقررون أن الفرق والحركات الإسلامية عبارة عن ديانات داخل دين الإسلام، وهذا ليخدعوا الغرب بأن الاختلاف بين المسلمين ليس يسيراً، بل هو أشد من الاختلاف بين طوائفهم، وليزيدوا هوة الاختلاف بين المذاهب الإسلامية، ومن الأمثلة على ذلك: كتاب دين الشيعة تأليف د. م دونالدسون [2] وهذا الكتاب من عنوانه يريد أن يحول الإسلام إلى دين يضم عدة ديانات.

وهذه المزاعم لا سند لها من واقع أو تاريخ.

فإن الفرق التي نشأت في حظيرة المسلمين لا تختلف في أمهات الاعتقاد.

وكثيراً ما نطالع في بحوث هؤلاء نعت الإسلام بأنه دين العرب ونبي الإسلام بأنه نبي العرب، والقرآن الكريم بأنه كتاب العرب، وتسمية الفتح الإسلامي بالفتح العربي... وذلك كله من أجل إثبات أن الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وتاريخاً، من عمل العرب وليس من عند الله. سبحانه وتعالى ..

---

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٣٢، ترجمة: نبيه فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٧، سنة ١٩٧٧م.

(٢) د/ محمد البهي، المبشرون والمستشرقون، وكتابه: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٤٤.

ثامناً: الاعتماد على الروايات الموضوعة والأخبار الكاذبة والآراء الشاذة التي لا سند لها من عقل صريح أو نقل صحيح، مادامت هذه الروايات تنصر مذهبهم وتسند اعتقادهم، ومن ذلك الاستدلال على زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين زينب بنت جحش برواية واهية والإعراض عن النص القرآني قطعي الثبوت والدلالة.

يقول وات: (... ذهب محمد إلى بيت زيد للتحدث إليه، وكان زيد غائباً، فشاهد زينب عارية فأحبها ـ كما يقولون ـ لتوه، ومضى وهو يقول لنفسه: سبحان مقلب القلوب، وأخبرت زينب زيداً بزيارة محمد ورفضه الدخول وما قاله، فتوجه زيد إلى محمد وعرض عليه أن يطلق زينب، فقال له محمد بأن يحفظ امرأته، ولكن الحياة أصبحت فيما بعد مع زينب لا تطاق، فطلقها زيد، وبعد مرور العدة تم زواجها من محمد، وقد نزل الوحي بتبرير هذا الزواج) (١).

وهذه الرواية (٢) باطلة (٣).وليست في الصحاح ولا المصادر الحديثية وكان على المستشرقين ان يعتمدوا على الأحاديث الصحيحة لا الباطلة والمنكرة.

وكيف يحبها هذا الحب الشديد ثمَّ يأمر زوجها بالإمساك بها؟!

تاسعاً: هجر الروايات الصحيحة وعدم الأخذ عن المراجع الأصلية الموثقة منتفعين في ذلك بالمؤلفات الأدبية والتاريخية والقصصية التي لا تعتمد على أخبار ثابتة ـ غالباً ـ:

وكان عليهم أن يسلكوا سبيل الإنصاف والحيدة، فينقلوا معلومات كل فن من

(١) محمد في المدينة، ص ٥٠٢، ٥٠٣.

(٢) رواها ابن جرير في تفسيره ٦/ ١٨١.

(٣) قال ابن كثير ٣/ ٧٧٣:ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ها هنا آثاراً عن بعض السلف أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها.

أمهاته، ففي محاولة المستشرق جولد تسيهر لإثبات زعمه بأن الحديث مجموع من صنع القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وليس من قول الرسول ﷺ، ادعى أن أحكام الشريعة لم تكن معروفة لجمهور المسلمين في الصدر الأول من الإسلام، وأن الجهل بها وبتاريخ الرسول ﷺ كان لاصقاً بكبار الأئمة، وقد حشد لذلك بعض الروايات الساقطة المتهافتة، من ذلك ما نقله عن كتاب حياة الحيوان للدميري من أن أبا حنيفة . ~ . لم يكن يعرف هل كانت معركة بدر قبل أحد أم كانت أحد قبلها!! [١].

فقد نقل هذه الرواية الباطلة سنداً ومتناً من كتاب لا شأن له بأخبار الأئمة عن عالم (هو الدميري) ليس مؤرخاً ولا محدثاً [٢].

وهذا حاله كحال من جاء ليطلب علم الطب من حَذَّاء أو قصَّاب.

عاشراً: التفسير الخاطئ للتاريـخ الإسلامـي:

ولخطورة التاريخ وأهميته عمل القوم على تزويره أو تفسيره بما يخدم أغراضهم، ومن هذا تفسير صاحب كتاب تاريخ الأدب الجغرافي عند العرب[٣] النسئ في قول الله . تعالى . ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﮊ (التوبة: ٣٧) بالفرق بين الشهر القمري والشهر الشمسي أو السنة القمرية والشمسية، ولو علم أن العرب كانوا ينسأون . أي يؤجلون . الشهور الحُرُم لتتاح لهم فرصة الحرب في الأشهر الحرم لما وقع في هذا الخطأ [٤].

وهذا التفسير الذي سبق آنفاً يعارض السياق ولا يلائمه.

حادي عشر: التعمية أو ذكر المعنى في صورة ضبابية:

ربما عرض المستشرقون الواقع الإسلامي في صورته التي يعرفها المسلمون، ثم يسلطون على هذه الصورة . في حرص وحذر . سُحباً رقيقة ماكرة لا تكاد ترى تحمل في طياتها

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٤٤، ١٤٥.

(٢) وبطلان هذه الشبهة يغني عن إبطالها.

(٣) لأغناطيوس كراتشكوفسكي، ص ١٨٧، ترجمة: د/ صلاح الدين هاشم، نشر: الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية.

(٤) عبد الكريم الخطيب، النبي محمد ﷺ، ص ٣٤١، ط/ أولى، دار الفكر العربي.

ألواناً معتمة تتكاثف شيئاً فشيئاً حتى تطمس معالم الحقيقة دون أن يتنبه لذلك أحد إلا بعد أن يقضى الأمر وتفوح رائحة الكذب والافتراء [١].

ومن أشكال التعمية:

١ . استنباط القواعد الكلية العامة من الحوادث الفردية الجزئية التي لا يصح منطقياً تعميمها.

٢ . تحويل النظر عن دائرة المسألة الأساسية.

٣ . قياس المسلم المُمسك بدينه بالذي لا تردعه روادع دين ولا خلق، وتفسيرهم لسلوك المسلمين أفراداً وجماعات بأنه علة أغراض شخصية ونوازع نفسية دنيوية، وليس ابتغاء مرضاة الله وثواب الآخرة.

فإذا تحدثوا عن ولاة المسلمين . مثلاً . حكموا بفسوقهم وفجورهم وإجرامهم معرِّضين بالحجاج بن يوسف الثقفي مع أنه يوجد الكثير من عمال البلاد ممَّن عرفوا بالخير والصلاح، ثم إنَّ الحجاج نفسه صاحب حسنات كبرى في الفتوح وغيرها.

٤ . تعظيم السفاسف وتكبير الصغائر، وتضخيم الأخطاء الصغرى، وجعلها تطغى على ساحة صورة تاريخ المسلمين، فطمس الصورة الرائعة المشرقة الرائعة في هذا التاريخ.

٥ . تجميع الهفوات التي لا تخلو منها جماعة أو أمة مهما عظمت فضائلها ووضعها في صورة واحدة وتقديمها على أنها صورة تاريخ الأمة الإسلامية.

٦ . عدم ذكر المناقب والفضائل إلا لماماً دون توضيح وتفصيل وجمع لسائر المعلومات في هذا الشأن لئلا ينصرف القارئ أو الباحث عن المفتريات التي اختلقت في الكتاب عينه فيضيع سعي المستشرق ويذهب عمله سدى.

وكل هذا يحصل أثناء دس الأفكار الباطلة، ضمن حشد أفكار صحيحة، أو مقبولة إجمالاً ولها حظ من النظر الفكري السليم.

---

(١) السابق، ص ٣٤١.

ثاني عشر: الكتمان والإخفاء:

إذا جاء دليل صحيح وصريح يباين اعتقاد ومنهاج ونظريات المستشرق فإنه يعمد إلى الإعراض عنه في بحثه لأي قضية، وذلك لئلا يتبين فساد رأيه وخيبة سعيه، ومن ذلك أنه رغم وضوح وتواتر الأدلة النصية والواقعية على عالمية الإسلام في القرآن والسنة والسيرة والتاريخ إلا أن فئة كثيرة من المستشرين أنكروا هذه الحقيقة القطعية [(١)]،ومن هؤلاء بلاشير [(٢)] [(٣)] ووات، اللذان كانا يغلبان الرجوع إلى القرآن الكريم في أي موضوع إسلامي، يريدان مناقشته، فلما باغتهما وضوح عالمية الإسلام في آيات الكتاب العزيز منذ نزول آياته، وكثرتها في القرآن المكي والمدني.

فراحا يشككان في صحة الروايات المتواترة المثبتة لهذه الحقيقة، ثم أخذا يكتمان ويخفيان الأدلة القرآنية قطيعة الدلالة في هذا المعنى بدليل أنهما لم يعرضا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في المسألة التي ذكرها إخوانهم في هذا الشأن.

وذلك لئلا تفسد نظريتهما القائلة بتطور وعي النبي ﷺ برسالته تبعاً لتغير محيطها.

يقول وات: ومن الطبيعي القول بأن همه الوحيد كان دحر المكيين... ولكن يظهر بوضوح بعد انتهاء الحصار . يقصد غزوة الخندق . أن أهداف محمد كان أوسع وأجدر برجل دولة، حتى إذا ما تأملنا في بداية تاريخ الإسلام وقعنا على إشارة تدل على أن هذه الأهداف الواسعة كانت دائمة موجودة، أو منذ أظهر النصر في بدر

(١) ممَّن أنكر عالمية الإسلام كايتاني والأب لامنس وسندرز. انظر: ما يقال عن الإسلام، للعقاد، ص ٧١، ومنهم بروكلمان كما في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٧١، وريسلر في كتابه: الحضارة العربية، ص ٢٧، ودافيد سانتيلانا في كتاب: تراث الإسلام، ص ٤٠٦.

(٢) رجي بلاشيرن (١٩٠٠ . ١٩٧٣م)، ولد في باريس، وعاش في المغرب الأقصى، وعين أستاذاً للغة العربية بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية، ثمَّ أستاذاً بالسوربون، وأثره كبير في طلاب الشمال الأفريقي الذين درسوا بفرنسا، من كتبه: تاريخ الأدب العربي، موسوعة المستشرقين، د/ عبد الرحمن بدوي، ص ٨٢، دار العلم للملايين، ط/ سنة ١٩٨٤م.

(٣) Le Probleme de Mahomet – P 118 نقلاً عن: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر،، ص ٥١٩.

إمكانية إحداث تغييرات واسعة [١].

وتدفع هذه النظرية بأن عالمية الإسلام ثابتة في أول ما نزل من القرآن من سور، ففي سورة المدثر يقول الله . تعالى .: ﮋﯓﯔ ﯕﮊ (سورة المدثر: ٣٦)، وفي سورة القلم: ﮋﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮊ (القلم: ٥٢).

ثالث عشر: أسلوب العكس أو منهج العكس:

إن المستشرقين يقلبون الحقائق ويعكسون الأصول، ويحولون كل خير وفضيلة وتحضر وسمو وعلم.. إلى شر ورذيلة وتخلف وهبوط وجهل.

يقول الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الحليم محمود: إن المبشرين قد برعوا في نشر الأضاليل على كل دين غير المسيحية.. وما نشر من أضاليلهم عن الإسلام، لا يحصر ولا يعد، إنها أضاليل تنشر متتابعة متكررة تتردد في صورة مختلفة، وينتهي بها التكرار والترديد إلى إيمان من ننشر عليهم بها.. وتبلغ الصفاقة إلى أن يعكسوا الحقائق عكساً تاماً، فالدين الإسلامي مثلاً،وهو دين التوحيد الخالص،ودين التنزيه التام يشيعون عنه أنه دين عبادة الأوثان.

ويكررون ذلك في مختلف الأمكنة والأزمنة، وينتهي المسيحيون بالاعتقاد، بأن هذا الدين إنما هو عبادة الأوثان [٢].

ويستدلون على ذلك بقصة الغرانيق، وهي قصة معلوم بطلانها لمخالفتها للمنقول والأصول وإجماع المسلمين، ومناقضتها لصريح المعقول [٣] ومباينتها للغة والسياق والسباق واللحاق.

ومن هذا أيضاً ما فعله المستشرق أودلف فيزمار في تفسير قوله . تعالى .: ﮋﭭﭮﭯﭰﭱ ﭲﮊ (يونس: ٩٩) حيث جعل الآية دليلاً على أن النبي ﷺ كان يكره الناس على الدخول في

(١) محمد في المدينة، ص ٦٠، وانظر: ص ٦٢، ١٧٠.

(٢) أوربا والإسلام، ص ٣١، ٣٢. د/ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، كتاب الأمة.

(٣) لتفصيل نقضها راجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د/ محمد محمد أبو شهبة، ط/ مجمع البحوث الإسلامية.

الإسلام [1].

وجلي أن الرجل لم يفرق بين الاستفهام الإنكاري الذي هو لائح من سياق الآية، وبين الاستفهام الإقراري، فقلب الحقائق وحطم القواعد.

وهذا يتم عن جهل مركب وضلال مبين.

ومثله جوزيف داهموس صاحب كتاب سبع معارك فاصلة [2] الذي حكم . على عكس إجماع المؤرخين المسلمين أجمعين [3] . أن القوات البيزنطية قد أبادت المسلمين في مؤتة.

ولو كان . هذا الإفك المفترى صواباً ما تمَّ فتح مكة، فإن مؤتة كانت في جمادى الأولى سنة ثمان قبل فتح مكة سنة ثمان في رمضان، ولو كان كذلك ما خرج المسلمون إلى الروم بعد عشرة أشهر في رجب سنة تسع عند تبوك.

ومن أشهر المستشرقين الذين حاولوا قلب كل ما تناقلته المصادر العلمية الإسلامية الأب هنري لامنس.

رابع عشر: الاختـلاق الأصلـي:

لم يكف المؤسسة الاستشراقية التحريف والتأويل الباطل، بل راحوا يكذبون ويفترون.

ومن ذلك ما قرره المستشرق رومان روسل من أن النبي ﷺ قد فرض على أصحابه الحج إلى كثير من المدن المقدسة مثل المدينة والقدس وخصوصاً إلى مكة، وأن رفات القديسيين تشكل وجهة رئيسة للعبادة، فالمسلمون يصلون في المدينة على

(١) د/عمر فروخ، ود/ مصطفى خالدي، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص ٤١، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط/٥، سنة ١٩٧٥م.

(٢) سبع معارك فاصلة في التاريخ، ص ٦٤، ترجمة: محمد فتحي الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط/١٣، سنة ١٩٨٩م.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٣.

قبر النبي [1] وفي القدس على قبر موسى عليه السلام [2]!!!

ومن نماذج ذلك ما افتراه كاردة فو [3] في مادة جبريل من دائرة المعارف الإسلامية حيث زعم أن النبي ﷺ اصطنع قصة جبريل [4] عليه السلام!!.

وكذا ما كتبه شتروتمان [5] في مادة التشبيه يصف فيها صفات الله . تعالى . في القرآن الكريم بالتشبيه [6] [7]!!.

وهذه آفة من آفاتهم تلمع في سماء الظاهرة الاستشراقية.

ومن محاور هذا الأسلوب:

. طرح فكرة مختلقة من أساسها بغية التضليل بها وهذا كثير في استنباطات هؤلاء.

فعلى سبيل المثال: يطعن جولد تسيهر في ربانية القرآن الكريم لمحاولة إثبات عدم وجود متن واحد للقرآن المجيد، فيقرر أنه كان هناك حرية مطردة أثناء جمع القرآن إلى حد الحرية الفردية التي تبيح لكل فرد أن يضع في آياته ما يشاء ويحذف ما يشاء دون نكران.

وإليك نص كلامه، فقد قال في كتابه مذاهب التفسير: ليس هناك نص موحد للقرآن، ومن هنا نستطيع أن نلمح في صياغته المختلفة أولى مراحل التفسير..،

---

(١) لم يصل ولم يسلم على النبي ﷺ لكنه سلم على موسى عليه السلام!!!.

(٢) Les pelerinages – Roman rousswl. P 16 نقلاً عن: نبوة النبي ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص ١٣٦.

(٣) كاردة فو: مستشرق فرنسي متعصب، درس العربية ودرَّسها في المعهد الكاثوليكي بباريس، عني بالفلسفة والتاريخ، حرر في الطبعة الأولى لدائرة معارفهم ٦١ مادة، طعن في القرآن والوحي، توفى سنة ١٩٥٣م، المستشرقون للعقيقي ١/ ٢٣٨ . ٢٣٩.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٢٦٥٠ وما بعدها.

(٥) شتروتمان: مستشرق ألماني متخصص في الفرق كتب عن الزيدية والإسماعيلية وغيرهما، حرر في الطبعة الأولى للدائرة ١٩ مادة، المستشرقون ٢/ ٤٢ . ٤٤٣.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية ٩/ ٣١٦ وما بعدها.

(٧) هذه الأكاذيب السابقة لا تمت إلى الإسلام ولا إلى واقع المسلمين بصلة، ويكفي في محقها قوله تعالى: ﮋ ﭡ ﭢ ﭣﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﮊ (الشورى: ١١).

والنص المتلقي بالقبول . القراءة المشهورة . هو لذاته غير موحد في جزئياته، ويرجع إلى الكتابة التي تمت بعناية الخليفة الثالث عثمان..." [١].

وفي النهاية يستخلص هذه النتيجة التي يقول فيها، ويمكننا أن نستخلص من التجارب في هذه المرحلة: أنه فيما يتعلق بإقامة النص المقدس في الإسلام، كانت تسود حرية مطردة إلى حد الحرية الفردية، كأنما كان سواء لدى الناس أن يروا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية" [٢].

قلت: وهذا كذب بواح يكذبه تاريخ المسلمين وواقعهم على مر العصور، وإلا . إذا كان لكل صحابي مصحف من تصنيفه .!!، فكيف كانوا يصلون وكيف كانوا يحفظون أولادهم القرآن؟. ولماذا يجمع المسلمون على كافة مشاربهم على مصحف واحد لا تزيد كلماته كلمة ولا تنقص؟

خامس عشر: الكذب والخداع:

الذين يحركهم دافع الضغينة والحقد على الإسلام ينتحلون الكذب وهم يعلمون.

وعلى سبيل المثال: عندما تطالع كتاب العقيدة والشريعة لجولد زيهر تجده يحاول بكافة الأساليب خداع القارئ بأن التناقض سمة وصفة جلية وحقيقية في الدين الإسلامي في جوانبه كلها عقيدة وشريعة وأخلاقاً.

ونحو هذا ورد عن جورج بوش الجد [٣].

وضرب جاك ريسلر عرض الحائط بالروايات المتواترة في رجوع قافلة قريش إلى مكة سالمة قبل غزوة بدر، وأكد على أن النبي ﷺ قد أخضع قافلة قريش عند بدر، وحارب قريشاً ثم

---

(١) جولد تسيهر، مذاهب التفسير، ص ٦.

(٢) السابق، ص ٨.

(٣) محمد مؤسس الدين الإسلامي، ص ٣٢١.

رجع محملاً بالزاد والغنائم [(١)].

وهذا لم يقله أحد من كتاب السيرة النبوية.

وادعى فيليب حتى [(٢)]، أن بلالاً ﷺ كان عبداً نصرانياً، وكذلك زيد بن ثابت ﷺ [(٣)]، وهذا كذب صراح لم يقل به أحد من أهل السير والتاريخ.

سادس عشر: لي النصوص بالتأويل المتكلف المغاير للمعنى المراد:

إذا ناقش المستشرقون فضيلة من فضائل الإسلام ونبيه ﷺ فعجزوا عن تكذيبها أو تحريفها أوَّلوها تأويلاً ساقطاً ممجوجاً.

يقول ول ديورانت واصفاً النبي ﷺ: يُرى أحياناً كاسف البال، ثم ينقلب فجأة مرحاً [(٤)] وهذا مغاير للواقع الفعلي الذي علمه الجاحد والمصدق، لكن ديورانت راح يؤول الصمت والتأمل بكسوف البال!! [(٥)].

مع أنه ﷺ كان يرى مبتسماً، طلق الوجه، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، وقد جاء عن ديورانت نفسه نقيض هذا [(٦)].

وأعجب من هذا أنه أنكر إعجاز القرآن في الإخبار بالحوادث المستقبلة، وذهب يؤول نصاً من أظهر النصوص المبرهنة على هذا الإعجاز، وهو قوله . جل

---

(١) جاك ريسلر،الحضارة العربية،ترجمة:غنيم عبدون، ص ٢٩، نشر: الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، د ت.

(٢) (١٨٨٦ . ١٩٧٨م)، لبناني متأمرك، أستاذ اللغات الشرقية ببرنستون، من مؤلفاته: أصول الدولة الإسلامية، المستشرقون ٣/ ١٤٨.

(٣) فيليب حتى، الإسلام منهج حياة، ترجمة: د/ عمر فروخ، ص ٤٤، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط/٢، سنة ١٩٧٩م.

(٤) قصة الحضارة، ج ١٣ ص ٤٥.

(٥) هذا تقول، فإن البني ﷺ كان دائم البشر، سهل الخلق، يقول عبد الله بن الحارث بن جزء ﷺ: ﴿ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﴾ﷺ، أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب، باب: في بشاشة النبي ﷺ، رقم: ٣٦٤١،، وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه في كتابه: الشمائل المحمدية، باب: ما جاء في ضحك النبي ﷺ، ص ١٢١.

(٦) قصة الحضارة، ج ١١ ص ٤٥.

شأنه .: ژ ﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱ ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚ ﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷ ژ (الروم: ١ . ٥). من أجل ذلك جعل ديورانت قدرات النبي ﷺ الفذة هي أساس نبوءات القرآن،حيث كان يتأمل بعين الفيلسوف الحروب الفارسية الرومانية فيتعرف بذلك على موازين القوى بينهما".

لكن هل يصدق بشر أن يحدد فيلسوف منطقة الحرب وزمانها والفائز فيها ولا يخطئ في شيء من ذلك؟

سابع عشر: تجزئة النصوص وبترها أو الاعتماد على بعضها دون بعض للاستدلال على قضية يرغب المستشرق في تسليم القارئ بها، والتقاط أفكار أو آراء أو فقرات أو فقرة من نص دون سابقها أو لاحقها على دأب ژ ﭺﭻﭼ ژ (الماعون: ٤) أو ژ ﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿ ژ [١] (جزء من آية النور: ١٩) .

وممن تراه يقوم بهذه الطريقة المستشرق اليهودي فلهاوزن [٢] في دعاويه التي منها عدم معرفة المسلمين بموضوع الضرائب مدة تزيد عن قرن من الزمان من قيام الإمبراطورية الإسلامية، حيث ظل المسلمون يجمعون إتاوات يفرضونها على البلاد المفتوحة بشكل غير منظم، كما أنهم قدروها دون أن تعنيهم طرق جمعها، وقد أكد فلهاوزن أن لفظ خراج وجزية قد ظلا مترادفين حتى سنة ١٢١هـ[٣]، عندما أصدر نصر بن سيار [٤] . والي خراسان . قراراً يقضي بأن يؤدي الناس جميعاً ضريبة

---

(١) دون مراعاة الوقوف والبدء والانتهاء، فصدر الآية:ژ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ژ.

(٢) فلهاوزن (١٨١٤ . ١٩١٨م) ألماني، من رجال اللاهوت، من مؤلفاته: تاريخ اليهود، الدولة العربية وسقوطها، المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٨٦.

(٣) الحقيقة غير ذلك واقعاً وفهماً وعقلاً، فإنه لا يعقل أن يدفع المسلمون الجزية، وفي هذا اختلاق وإفك، كما أنه لم يذكر المصادر التي استقى منها هذا الضلال، ثم زعمه بأن الخراج على المسلمين وغيرهم مباين لما قرره الفقهاء من تقسيم الأرض إلى عشرية وخراجية، فالعشرية هي التي أسلم أهلها طوعاً، أو فتحت عنوة وقسمت بين الفاتحين، أو أحياها المسلمون، فهذه عليها العشر أو نصف العشر.. والخراجية هي التي فتحت عنوة ولم تقسم بين الغانمين، وتركت في أيدي أهلها، أو صولح أهلها نظير خراج معلوم .

(٤) نصر بن سيار (٦٣٣. ٧٤٨): اختاره هشام بن عبد الملك حاكماً على خراسان.

الأرض، وهي الخراج، أما ضريبة الرأس . الجزية . فلا يؤديها إلا غير المسلمين، ولما كان ما تقوَّله يتعارض مع ما فصَّله الفقهاء والمؤرخون المسلمون فقد اتهمهم في كتابه (الدولة العربية وسقوطها) [١] الصادر سنة ١٩٠٢م بالتزييف، وذلك بإلحاقهم نظم عصرهم إلى أيام الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين حتى يحيطوها بجو من التبجيل، وقد وافقه المستشرق (ريشارد بل) [٢]، فرأى أنه لم يجد في الوثائق الرسمية لذلك العهد فروقاً في الاستعمال بين الخراج والجزية، كما وافقه في اتهامه للمسلمين بالوضع.

وأنكر دانييل دينيت على فلهاوزن آراءه هذه، وأوضح أن هناك ثلاث نقاط لقيت قبولاً من المستشرقين بحيث لم يعارضها أحد منذ كتبها فلهاوزن وهي:

١ . ميل المصادر العربية إلى أن تنسب إلى عهد سابق نظماً تنتمي إلى عهد متأخر.

٢ . لفظتا خراج وجزية مترادفان في الاستعمال الإسلامي، ومعناهما الإتاوة.

٣ . أن دخول الإسلام كان يعفي المؤمن من جميع التزامات هذه الإتاوة.

وقد شكك دينيت في جميع هذه النتائج، وركز على مسألة المنهج الذي اعتمده فلهاوزن، الذي كان يسوق شواهده ثم يرفض ما لا يتفق مع آرائه، ويعتبره زائفاً مختلقاً دون أن يقدم أدنى دليل، والأدهى من ذلك أن يختار من النص الواحد فقرة بعينها ويتهم في الوقت نفسه،ويلاحظ في كتابات المستشرق الكبير (كايتاني) [٣] صاحب حوليات الإسلام، الصادر في ميلانو سنة ١٩١٢م الذي أكد أن المؤرخين المسلمين صاغوا أقوالهم على مثال واحد ينسبونه إلى العهد الأول، وقد نقل عنه قوله: إنه لا يحدث أبداً

---

(١) آراء فلهاوزن هذه: تجدها في كتاب الجزية والإسلام لـ: دانيل دانيت، مقدمة المترجم، فوزي فهيم جاد الله، ص ١٢، ١٣.

(٢) ريشارد بل: إنجليزي، من رجال اللاهوت المسيحي، أستاذ العربية بجامعة أدنبره، من مؤلفاته: ترجمة للقرآن، ورؤى محمد ﷺ، المستشرقون ٢/ ٩٣.

(٣) كايتاني (١٨٦٩ . ١٩٢٦م) إيطالي،كثير الرحلات،من مؤلفاته: سيرة الرسول ﷺ،حوليات الإسلام، المستشرقون، ١/ ٤٢٩.

أن تقرأ في البلاذري لأكثر من خمس عشرة دقيقة، في أي موضوع تختاره دون أن يواجهك مثال على الأقل . والغالب أن يواجهك الكثير من الأمثلة . على حالة عدل فيها الاتفاق الذي تم عند الفتح في عهود خلفاء متعاقبين [١]، يقول دينيت رداً على دعوى اختراع المسلمين لرواياتهم، وكايتاني لم يستعمل أبداً أسوأ من عبارة، كأنما صيغت على مثال، حينما اتهم المؤرخين المسلمين بتزييف الفصول الرئيسة في الرواية الإسلامية الكبرى.. ولا يستطيع أحد أن يخرج من قراءة رأي مؤرخ من المؤرخين المسلمين المعتمدين بفكرة أن هؤلاء يقدمون شواهد موحدة كأنما صيغت على مثال، بل الحقيقة أنهم يقدمون كثيراً جداً من الحقائق..." [٢].

ثامن عشر: إلقاء التهم جزافاً دون دليل ونسبة أقوال أو أفكار إلى من لم يقلها.

كما رأينا في اتهام فلهاوزن المسلمين بالوضع والتأليف في الإسلام والإدخال على قواعده ونصوصه ما ليس منه، والرجل بهذا الأسلوب يوحي للقارئ بأنه أعلم وأفقه وأدرى بالإسلام من علمائه المتخصصين!!

وأكثر من هذا أن تكون التهم في صورة سب وطعن ولعن.

وعلى سبيل المثال فإن الأب هنري لامنس Henri Lammans لم يستطع أن يكتم الحقد الذي في قلبه على خاتم النبيين ﷺ فنفث سمه قائلاً: كان لمحمد شهوة قوية جامحة، وقد كتفت جسمه الملذات وخدرت أعضاءه فأصبح مهدداً بداء السكتة[٣].

هذا الإفك ليس له برهان من معقول ولا منقول، لم يتجاسر أئمة الكفر من الوثنيين أن يهرفوا بمثله، وليست هذه الطريقة خاصة بهذا المعروف بعدائه وحقده، وإنما اتبع سنته أشياع وأتباع كثيرون من هذه الطائفة العاملة في هذا الحقل.

(١) حوليات الإسلام، كايتاني، ٥/ ٢٧٣، نقلاً عن: الجزية والإسلام، ص ٣٧.

(٢) الجزية والإسلام، ص ٣٨.

(٣) محمد رسول الله ﷺ، أيتين دينيه، ص ٤٧.

تاسع عشر: الانتقائيـة في اختيار المصادر:

يعد من أشد العيوب المنهجية خطورة في البحث العلمي أن يتوصل الباحث إلى نتائج محددة مبنية على معلومات مستقاة من مصادر غير متخصصة في موضوع بحثه، فكيف لو كانت هذه المصادر مرفوضة أو محظورة في فن معين أو علم خاص، وكيف لو حذر المتخصصون منها.

إنَّ المستشرقين . وللأسف الشديد . ينتقون أقل المصادر قدراً، وأبعدها عن التخصص وأفسدها رؤية.. ويعتمدون عليها.

ولأجل هذا يصطادون الروايات الموضوعة والشاذة والآراء الباطلة.

وعلى سبيل المثال: زعم جاستون فييت في كتابه مجد الإسلام . أن بني هاشم كانوا بطوناً منها عبد المطلب، وكان بنو أمية . كما زعم . أعز وأقوى من بني عبد المطلب وبني هاشم جميعاً، ولذا كان حكم بني أمية للعرب والمسلمين أمراً طبيعياً، وأشاد بمقاومة أبي سفيان للإسلام في الجاهلية، وببطولة معاوية في نزاعه مع عليّ {، وبقتل يزيد للحسين ﷺ، وبتمثيل الحجاج بأهل العراق.

ثم ينتقل إلى تاريخ العباسيين فيختار بناء بغداد عن ابن واضح اليعقوبي ليدلل بها على انتقال الدولة الإسلامية إلى يد الفرس حتى ينسب إليهم ما قام من نهضات علمية في العصر العباسي، أو ينقل عن أبي يوسف القاضي نص رسالة ابن المقفع.. ينقلها لكي يؤكد ما يقوله غيره من المستشرقين من سوء حالهم في ظلال الإسلام.

وهذه رسالة مكذوبة فهي من مخترعات الشعوبيين الحاقدين على العرب والإسلام، ثمَّ يتجاهل العبقريات في هذا العصر كالأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة وغيرهم.

وإذا ما وصل الكاتب إلى تاريخ هارون الرشيد قلاه فلم يذكر إلا قصة الرشيد

ساعة دقاقة لـ "شارلمان" ومع أنها أسطورة إلا أن الكاتب يتمسك بها لأنها تقول: إن الرشيد أرسل مفاتيح بيت المقدس إلى الملك الفرنسي.. مع أنه لا يوجد سبب مقبول لهذا.

ثمَّ ذكر فييت نكبة البرامكة برواية المسعودي التي تتضمن اتهام خصومهم، وفي عصر الأمين والمأمون يطنب في بيان حروبهما، ثم يسمي انفصال الأندلس حركة استقلال، ويسمي ثورة المغرب استقلال البربر، بينما أهل المغرب ينفضون عن أنفسهم الانتساب إلى البربر ويعدون أنفسهم في المسلمين، وهكذا سمى كل انفصال عن الخلافة العباسية حركة تحرير.. ثم يذكر المعتصم والترك ويورد فقرات من رسالة الجاحظ في فضل الترك، دون أن يذكر نظيرها عن العرب من الرسالة نفسها.

ويركز على ذكر الفتن والثورات، ثم ينتقل إلى عصر السلاجقة سريعاً فينتهي إلى الحروب الصليبية، فينقل عن "وليم الصوري" بطولة الصليبيين، إذ قتلوا عند دخولهم بيت المقدس ٦٢ ألفاً" [(١)]!!.

عشرون: رفض الحق بالنفي المجرد الذي لا يدعمه دليل صحيح مقبول في المنهج العلمي السليم:

كما ذكرنا آنفاً عن فلهاوزن، وزملاؤه شركاؤه في هذه الطريقة وللامنس وبلاشير وكايتاني وجولد زيهر وفلهاوزن.. القدح المعلي في هذا الخطب، كما فعل بلاشير عندما حاول طرح ما أثبتته المصادر الحديثية والتاريخية وغيرها من إرسال النبي ﷺ رسائل إلى ملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام مما يبرهن على عالمية الرسالة الخاتمة، فشكك في صحة الروايات الواردة في ذلك حيث قال: وتحاول السيرة أن تبرهن على أكثر من هذا، إنها تجعل محمداً يراسل ملوك العالم بعد صلح الحديبية...

---

(١) زكريا هاشم، المستشرقون والإسلام، ص ١٩١ . ١٩٩ بتصرف شديد، و د/ عبد المتعال الجبري، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، ص ٢٥٦.

ومن هنا فهي تطرح فكرة أن النبي ﷺ قد حاول دعوة العالم... وتاريخية هذه المعطيات ضعيفة جداً، ورواياتها تتسم بجو القصص العجيبة، مما يدفعنا إلى عدم أخذها مأخذ الجد" [١].

وأنت ترى أنه رام إبطال حقيقة عالمية الدعوة، فشكك أولاً في الروايات، ثمَّ حكم بضعفها، ثم قرر غرابتها ونكارتها [٢].

ويتضح لنا أن من محاور هذا الأسلوب الذي وضعوه: إبطال الروايات الصحيحة والنصوص المتواترة والقطع ببطلانها أو الشك في ثبوتها.

ومنها: إنكار إجماع العلماء المتخصصين.

كما فعل جولد زيهر عندما رفض ما أجمع عليه علماء الجرح والتعديل والسير من توثيق الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (٥٠ . ١٢٤هـ) والتسليم بصدقه وورعه وأمانته، وزعم أنه كان كذاباً وضاعاً يضع الأحاديث لخدمة الأمويين، وأنه وضع حديث: ﴿ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.. إلخ ﴾ [٣] لعبد الملك بن مروان، وحجته أن هذا الحديث من رواية الزهري الذي كان معاصراً لعبد الملك بن مروان[٤].

ويجاب عن هذا:

بأن الحديث جاء من طرق غير طريق الزهري منها طريق شعبة عند البخاري [٥] قال: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة [٦] عن عبد الملك [١] قال: سمعت قزعة مولى

(١) Le pyobleme de Mohomet – p 118 نقلاً عن: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر،ص ٥٢٠.

(٢) ويكفي في نقض هذا عرض الآيات القرآنية الكثيرة والقاطعة في إثبات عالمية الإسلام.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم: ١١٨٩، ٤/ ٧٦ فتح.

(٤) د/ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي،ص ٢١٧، وأجنحة المكر الثلاثة، ص ١٤٥.

(٥) أخرجه البخاري، الكتاب السابق، باب: مسجد بيت المقدس، رقم: ١١٩٧، ٤/ ٨٤، ٨٥ فتح.

(٦) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي، أبو بسطام الواسطي، ثقة، حافظ، متقن، قال الثوري: هو أمير المؤمنين في الحديث، توفى سنة ستين ومائة، تقريب التهذيب، ج ١ ص ٣٥١.

زياد [٢] قال: سمعت أبا سعيد الخدري ﷺ...

وليس بين الحديث من طريق الزهري، ومن طريق شعبة إلا سبعة أحاديث في الصحيح، ولو أنه نظر . إن كان قرأ صحيح البخاري أصلاً . في الصفحة نفسها لرأى الطريقين.

كما أن الزهري روى الحديث السابق عن سعيد بن المسيب الذي كان حياً في خلافة عبد الملك، لأنه توفى سنة ٩٣ للهجرة، وليس من المقبول أن يسكت على كذب تلميذه عليه.

وأيضاً لم يرد في أي مصدر معتمد أن عبد الملك قد بني قبة الصخرة ليحج المسلمون إليها.

ثمَّ كيف يتهم الزهري بوضع الحديث خدمة لعبد الملك مع أنه لم يلق عبد الملك إلا بعد سنوات من مقتل ابن الزبير؟.

وغرض هذا اليهودي من هذا أمرين أحدهما: نفي إثبات فضائل المسجد الأقصى، ويكفي في دحض هذا فاتحة سورة الإسراء.

والثاني: أنه لا صحة لإثبات فضل شد الرحل إلى بيت المقدس مع أنه وردت أحاديث نبوية أخرى لتأكيد هذا المعنى [٣].

---

(١) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي، الكوفي، ثقة فقيه، روى له الجماعة، مات سنة ست وثلاثين ومائة، تقريب التهذيب، ١/ ٥٢١.

(٢) قزعة بن يحيى أو ابن الأسود مولى زياد بن أبي سفيان، البصري، ثقة، تابعي، روي له الجماعة، تقريب التهذيب، ج ٢ ص ١٢٦.

(٣) منها: أنه ﷺ قال: ﴿ إن سليمان لما بني بيت المقدس سأل ربه ﷺ خلالاً ثلاثاً،، فأعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها ﴾، أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ١٧٦، والنسائي، كتاب: المساجد ٢/ ٣٤، وابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة، رقم: ١٤٠٨، والحاكم ١/ ٣٠، ٣١، وصححه ووافقه الذهبي وابن حبان في صحيحه، ج ٤ رقم: ١٦٣٤، وج ١٤ رقم: ٦٤٢٠، وصححه الشيخ/ شاكر.

حادى وعشرون: رمتني بدائها وانسلت:

فلو فرضنا جدلاً صحة ما ادعوه في حق الإسلام ونبيه ﷺ لكان أحق بذلك دياناتهم وأنبياءهم . في فكرهم .، فإن أكثر ما ادعوه موجود مثله عندهم فيما خطوه بأيديهم حول دينهم مع إيماننا العميق بصحة ما ثبت في شأن الأنبياء السابقين &.

فزعمهم بأن القرآن المجيد مأخوذ من مصادر أجنبية كاليهودية والمسيحية، أو من بحيرا الراهب، أو أنه ثمرة صرع كان ينتاب النبي ﷺ (١).

يحق عليهم لما ثبت من تأثر العقائد المسيحية بالديانات الوثنية (٢) ناهيك عن غياب دلائل صدقها سنداً ومتناً وعقلاً.

وشبهاتهم في تعدد زوجات النبي ﷺ لا يصح صدورها منهم، لأنهم يؤمنون بنبوة إبراهيم ويعقوب وموسى &، وقد كان لكل واحد منهم أكثر من زوجة، كما اتخذ سليمان ألف امرأة سبعمائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري (الملوك الأول: ١١: ٣).

ثم هم يتهمون الإسلام بأنه يقول: إن الله خلق الخير وخلق الشر.. وعهدهم القديم يقول . عن الله . مصور النور وخالق الظلمة وصانع السلام وخالق الشر أنا الرب صانع كل هذا (أشعياء ٤٥: ٧)!!.

ودعواهم أن الإسلام انتشر بالسيف هم أجدر بها، فإن إنجيلهم يقول: لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه،والابنة ضد أبنها،والكنة ضد حماتها،وأعداء الإنسان أهل بيته" (متى١٠: ٢٤ . ٢٦).

وهكذا دواليك لا تسلم لهم شبهة إلا كان في تراثهم ما هو جدير بإلصاقها به.

(١) دفع كل هذه الشبهات في كتاب الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط/٦، سنة ١٣٨٠هـ . ١٩٦٠م.

(٢) من أشهر الكتب المصنفة لتقرير هذا المراد: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تأليف: محمد بن طاهر بن طاهر التنير. انظره بتحقيق: د/ محمد عبد الله الشرقاوي، نشر: دار الصحوة، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

ثان وعشرون: تفسير النصوص والحوادث والوقائع والنيات والغايات تفسيرات لا تتفق مع دلالاتها وأماراتها الحقيقية، ولا مع النتائج التي أثبتها تاريخ المسلمين.

ومنهم من يقرن أي موضوع أو مسألة متعلقة بالإسلام برأي المسيحيين، فيخرج التفسير للدين الإسلامي مسيحياً خالصاً ليس للإسلام ولا للمسلمين منه شيء، وهذه طريقة غوستاف فون غرونبام في كتابه الإسلام القروسطي [(١)] [(٢)] وغيره الكثير على هذه السنة.

يفسر أحدهم اسم أبي بكر فيقول: إنه أبو البَكْر [(٣)]!!! والمعروف أنه لم يكن له ولد باسم البكر، وإنما سمي به لسرعة مبادرته إلى الإسلام.

ويفسر آخر قول الله . تعالى .: ﮋ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﮊ (الزمر:٧٥)، فيقول: بدون أحذية!! [(٤)] [(٥)].

ومعلوم أن حافين هنا جمع حاف من حفَّ بالشيء إذا استدار به واحدة وأحاط.

وحافين عند هذا الجاهل جمع حاف من الفعل حَفِي حفا أي مشي بلا نعل ولا خف،وهذه جمعها حُفاة لا حافِّين!!.

ناهيك عن أن زعمه هذا يتناقض مع السياق.

ثالث وعشرون: تحليل النصوص بحسب العقلية الأوربية دون النظر إلى تقاليد وعادات وأخلاق المسلمين، وتفسير التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

---

(١) الذي يظهر لي أن معناها: الإسلام المتعصب أو العنصري.

(٢) I, islam mediev – Non Gvunbum. P 92 نقلاً عن: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص ٢٦٨.

(٣) البكر: الفتى من الإبل، المعجم الوجيز، مادة: بكر.

(٤) د/ عبد الحليم محمود، أوربا والإسلام، ص ١٣٧.

(٥) د/ محمد الفاتح مرزوق، دفاع الإسلام ضد مطاعن التبشير، ص ١٤، نشر: دار الاعتصام، القاهرة، د ت.

بالمنظار الذي يفسرون به التاريخ الغربي والحضارة الغربية مع تباين الواقعين عقيدة وشريعة وبيئة ودوافع تبايناً كلياً.

يقول ناصر الدين (أيتين دينيه): فإننا نلمس من خلال كتاباتهم محمداً ﷺ يتحدث بلهجة ألمانية إذا كان الكاتب ألمانياً، ويتحدث بلهجة إيطالية إذا كان الكاتب إيطالياً، وهكذا تتغير صورة محمد ﷺ بتغير جنسية الكاتب [1].

إنه من المتعذر، إن لم يكن من النادر . أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم وبيئتهم ونزعتهم المختلفة، لذا هم يتحاكمون إلى ميولهم ومشاعرهم ويجعلونها معيارين للتحاكم.

رابع وعشرون: إطلاق ألفاظ على غير معانيها:

أحياناً يفسر المستشرقون كلمة أو عبارة في نص تفسيراً خاطئاً فيقلبون المعنى رأساً على عقب، ثم يزدادون سوءاً فيختلقوا الحجج والبراهين لإثبات هذا التفسير، ومن المتميزين في هذه الطريقة المستشرق كارل بروكلمان.

ألا تراه يقول في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية: وإذا كان العرب يؤلفون طبقة الحاكمين فقد كان الأعاجم من الجهة الثانية هم الرعية، أي القطيع. وجمعها رعايا، وهو تشبيه سام قديم كان مألوفاً حتى عند الآشوريين.

وهو بهذا يريد أن يبرهن على سوء معاملة العرب الفاتحين لأهل البلاد المفتوحة ليحض المسلمين العجم على كراهية الإسلام أو كراهية العرب على الأقل.

وهذا الادعاء باطل بلا ريب يكذبه التاريخ واللغة والشرع، أما من حيث التاريخ فيعلم القاصي والداني أن كثيراً من العجم المسلمين كانوا ولاة وأمراء وسلاطين بل وخلفاء.

ويكفينا هنا أن نشير إلى سلاطين الخلافة العثمانية الذين لم يكونوا عرباً.

---

(١) د/ محمد شامة، الإسلام في الفكر الأوربي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/٢، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

وأما من حيث اللغة فإنَّ الرعية هم عامة الناس الذين عليهم راع يُدبر أمرهم ويرعى مصالحهم، وليسوا قطيعاً كما زعم بروكلمان، فإن القطيع لا تستعمل إلا في عالم الحيوان.

وأما في الشرع، فإن كلمة رعية تطلق على المسلمين أجمعين ولا تخص العجم، فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿ ما من وال يلي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة ﴾، وفي رواية: ﴿ ما من عبده استرعاه الله رعية فلم يُحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة ﴾ [(١)] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

خامس وعشرون: التعميم المزوِّر:

يعمد المستشرقون إلى أخطاء بعض المسلمين فيحولونها إلى منهاج عام لدى المسلمين كافة، أو يعمدون إلى النصوص الاستثنائية، فيحكمون على المسلمين أجمعين بالضلال.

فـ "هاملتون جب" على سبيل المثال . يرجع خصيصة تعلق العربي بالحدس والخيال إلى طبيعته، ويفسر تصور المسلمين لمسائل العقيدة لهذا الزعم فيقول: يبدأ الخيال الديني مدفوعاً باحترام النبي وتقديس رسالته بتقديم مفهوم خاص لما يجب أن يكون عليه النبي . أي يكون بدون ذنب أو خطيئة وان يتمتع بقوة معجزة... وتبدأ الطبيعة الحرفية المفعمة بالطاعة بالعمل، مستمدة من كنوز الأحاديث النبوية ومن تفسير الآيات القرآنية أدلة وبراهين ضرورية لتوطيد دعائم المفهوم وجعله مذهباً دينياً [(٢)].

وهذا تعميم مزور فإنه إذا كان هذا تصور العوام للقضايا العقائدية، فإنَّ العلماء والمفكرون يرفضون هذه الطريقة في التسليم بمسائل العقيدة، ويوجبون النظر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح، رقم: ٧١٥٠، ٧١٥١، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الإمام العادل (٢١)، ج ١٤٢.

(٢) انظر: جب، دعوة تجديد الإسلام، ص ٢٠، نشر: دار الوثبة، دمشق، د ت.

والتأمل للإيمان بكبرى يقينيات العقيدة.

والقرآن الكريم نفسه يقرر هذا المنهج في الفهم العقدي، فيقول: ژ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ گ گ گ گ ں ں ڻ ژ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١)، ويأمر بالنظر في الآيات الكونية في الأنفس والآفاق، قال تعالى: ژ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ژ (يونس: ١٠١).

وفي مقابل هذا التعميم السلبي الفاسد هناك تعميم إيجابي خاطئ مضلل، وهو نعت الحضارة الأوربية بالتفوق على سائر الحضارات، وهذا باطل عند أهله في بعض جوانبه . كالجانب الاجتماعي والاقتصادي . بلا ريب، وإلا ما وقعت الأزمة المالية العالمية.

سادس وعشرون: التكرار وإعادة الشبهة بأقوال وأساليب متعددة

جرياً على قاعدة ما تكرر تقرر أو كما يقال: اكذب حتى تُصدق، وكل من طالع أعمال هؤلاء يدرك بيقين أن دراساتهم تخرج من مشكاة واحدة . إلا ما ندر .، ومن ثم فإن ادعاءاتهم تتكرر، ومن مزاعمهم التي تتكرر دائماً:

. التشكيك في مصدرية القرآن.

. زواج النبي ﷺ شهوة.

. انتشار الإسلام بحد السيف أو رغبة في المال.

. نفي عالمية الإسلام.

. دعوى صنع الصحابة ﷺ للسنة النبوية.

وهناك ألقاب وكلمات تكرر غالباً مثل كلمة الديانة المحمدية.

وكلمة المحمديين التي تدندن أعمالهم حولها متصورين . أو مصورين . علاقتنا بمحمد ﷺ كعلاقة النصارى بعيسى عليه السلام،وهذا بهتان عظيم،فإننا نعتقد أن محمداً ﷺ عبد الله ورسوله، وليس إلهاً ولا ابناً للإله.

بل منهم من يسمي الإسلام بالمحمدية.

ومن أشكال هذا التكرار: الترويج للروايات الباطلة والآراء الشاذة، وذلك نحو دعوى أن مسلم بن عقبة أمير جيش يزيد بن معاوية بعد أن أخضع المدينة المنورة، وقتل من أهلها من قتل أباحها لجنوده ثلاثاً عملاً بوصية يزيد الذي أمره بذلك [١].

وهم يهدفون من وراء التكرار إلى دفع علماء المسلمين إلى التسليم والقبول بهذه الترهات.

سابع وعشرون: وضع السم في العسل:

لم تكن أكثر كتابات المستشرقين إساءات وافتراءات فهم ألباء مكارون يقتصرون في أباطيلهم على سطور قليلة أو كلمات معدودة في الموضوع الواحد، وربما أثنوا على بعض المبادئ الإسلامية وذكروا الأدلة على ذلك وبالغوا في جمع البراهين.

ولا يفطن لهذا السم إلا المتخصص المتعمق أو القارئ الفطن.

وأبين المستشرقين في هذا المعنى ونتغمري وات، الذي يثني على الإسلام ورسوله ﷺ ثناءً عاطراً ثمَّ يلقي الشبهات في هذا الخضم الزاخر بالإنصاف، ومنهم أيضاً جوستاف لوبون، وول ديورانت، وإميل درمنجهم.

ورودلف بيترز[٢] الذي أجاد في بحثه لموضوع الجهاد في كتابه "الإسلام والاستعمار" [٣] إلا أنه وصف آيات القرآن العظيم الواردة في هذا بالتناقض والتطور التدريجي ملمحاً إلى تغير أسلوب القرآن المكي القائم على الصفح والتسامح والقرآن المدني الداعي إلى الشدة والعنف كما زعم جولد سيهر.

(١) فقد روى هذه القصة بهذا المعنى أبو مخنف لوط بن يحيى وهو شيعي كذاب، كما في ميزان الاعتدال ج٤، وذكر الطبرى رواية أخرى لهذه الحكاية أصح إسناداً ليس فيه أنه أباح المدينة ثلاثاً، انظر: تاريخ الطبري، سنة ٦٣، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٠ . ٢٢٥.

(٢) أستاذ في معهد الدراسات العربية الإسلامية بجامعة أمستردام، هولندا.

(٣) في كتابه "الإسلام والاستعمار" عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث، ص ١٦١، نشر: دار شهدي للنشر بالتعاون مع المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، القاهرة، سنة ١٩٨٥م.

فقال: والقرآن يفيض بالآيات التي تتصل بالعلاقة مع الكفار، وهي آيات تتراوح من الأمر بالدعوة إلى الإسلام بالحسنى إلى الأمر بقتالهم دون قيد ولا شرط.

المطلـب الثانـي

آثـار أساليـب شبهات المستشرقـين

وبعد عرض أهم أساليب شبهات المستشرقين يستبين لنا:

. أنهم حاولوا جاهدين محق ونسف وتغيير وتزوير وتشويه وتحريف وإفساد كافة حقائق الإسلام ومُثله العالية في جوانبه جمعاء ومتعلقاته قاطبة، ولم يتبعوا في ذلك آداب البحث العلمي ولا شيم العلماء، حتى أخلاق دينهم وحضارتهم وضمائرهم وعقولهم ألقوها ظهرياً ابتغاء تحقيق هذه الغاية، ولم يضنوا في ذلك بجهد أو وقت أو مال أو نفس أو نفيس، وصدق الله ﷻ إذ يقول: ژﭽﭾﭿ ﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎ ژ ڑڑ ک ژ (الأنفال: ٣٦)، ولا يستثني من هؤلاء إلا فئة قليلة منها من اهتدى ومنها من أنصف..

. وكان هذا العمل يسير وفق خطة منهجية متكاملة مجتمعة متواصلة زماناً ومكاناً وحالاً.

. وباعتبار أن أكثر أساتذة الاستشراق يهود فإن أبحاث المستشرقين جاءت متعاطفة معهم حريصة عليهم مقدرة لهم على حساب الإسلام.

. آتت هذا الجهود أكلها فنشأ المجتمع الغربي كله على كراهية الإسلام والمسلمين حتى عمت البصائر والأبصار عن رؤية الحق، وانتقلت إلى العالم الإسلامي فبلبلت عقول وأفكار فئة كثيرة منه، وحولت طوائف متعددة من المثقفين . كما يدعون . إلى خدمة مآربها واتباع مناهجها والجهاد في سبيل أمانيها.

وذلك إضافة إلى ما يلي:

١. الأخذ بمفاهيم غير صحيحة عن الإسلام وسيطرتها على الكثير.

٢. تسلل دسائس أعداء الإسلام إلى حصون الأمة ومعاقلها.

٣. هجر الإسلام والتهاون في تطبيق أحكامه، وغيابه عن واقع المسلمين.

٤. الانبهار بظواهر الحضارة المادية الغربية الحديثة.

٥. تأثر معظم الأجيال الحديثة بحملات الغزو الفكري.

٦. تلقي الضربات المتتاليات من قبل أعدائهم وأعداء دينهم.

٧. تفرق الأمة وضعفها.

٨. التخلف الفكري والتعليمي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي... والعجز الكامل في جوانب الحياة كلها.

٩. التحلل من الفضائل والانغماس في المادية.

١٠. ظهور التيارات الفكرية المعادية للإسلام، والتي منها الليبرالية والعلمانية والقومية والوطنية والوجودية والاشتراكية والرأسمالية والروحية الحديثة... والبهائية والقاديانية .

١١. الإعراض عن اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة وأدباً وإملاءً... وقراءة وكتابة وخطاً، واستبدالها بالعامية لدى الكثيرين.

المبحث الثانــي

مواجهــة شبهـات المستشرقــين

يجب على الأمة الإسلامية بعد أن علمت أهداف أعدائها أن لا تقف موقف المتفرج المتسلي بمشاهدة هذه الأخطار بل يتعين عليها أن تواجه هذه الافتراءات مواجهة كافية شافية وافية.

ومواجهة الشبهة يجب أن تكون في جانبين:

. جانب علمي فكري (دفاعي).

. وجانب تثقيفي تحفظي.

أما الجانب العلمي الفكري فيقوم به العلماء والباحثون المختصون كل في مجال بحثه.

وأما الجانب التثقيفي التحفظي الإصلاحي فيقوم به . في الأصل . الأمراء والدعاة والصالحون كل حسب دوره.

أولاً: أسبـاب قبـول الشبهـات:

لكن قبل أن نواجه هذه الشبهات يتعين علينا معرفة أسباب قبولها لإحسان تحديد موضع الداء وإتقان إيصال الدواء وسد الذرائع المفضية إليها، وتيسير مواجهتها، وهذه الأسباب هي:

١ . تفشي الجهل بالمفاهيم والتعاليم الإسلامية الصحيحة.

٢ . غياب المعلم القدوة والمدرسة الصالحة والدعاة المرشدين والعلماء المصلحين . إلا القليل ..

٣ . ضعف الإيمان والإقبال على الدنيا.

٤ . وجود المناخ المناسب أو فساد البيئة، وأشدها البيئة التعليمية.

٥ . قيام الإعلام . المضل . خصوصاً المرئي منه . بدوره في الإضلال مستخدماً ما سيق آنفاً في أساليب شبهات المستشرقين.

٦ . ستر العناصر المأجورة، وخاصة أبناء المستشرقين من بني جلدتنا الذين هيأ لهم الاحتلال أسمى المناصب وأرفع الدرجات وأحاطهم بالعطايا والهبات والأوسمة،فأفسدوا الأفكار.

٧ . الإيهام بأن الفكرة من المسلمات العلمية.

٨ . استخدام الآداب والفنون مما مكن للفكر الغربي في القاعدة العريضة من جمهور المسلمين.

٩ . الاستدراج. ١٠. التكرار.

١١. التلقين منذ سن الطفولة الأولى، فالناس أبناء ما تعودوا، عبيد ما ألفوا.

١٢. مناهضة ومحاربة الفئة القليلة الصالحة المصلحة من العلماء والدعاة.

ثانياً: المواجهة الخاصة للشبهات(دور العلماء):

العلماء هم المطالبون والمخاطبون أولاْ بدرء الشبهات، لذا جاهدوا في حماية ثغور الإسلام وتولوا مهام عملهم.

أ . فهناك دراسات جماعية قامت بها مؤسسات علمية متخصصة منها في دفع مطاعن المستشرقين.

ومن هذه الجهود الجماعية:

. قسم الاستشراق بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م).

. ووحدة بحوث الاستشراق لمركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة (١٩٨٨م) وتصدر عنهما مجلات دولية.

. ووحدة الاستشراق بقسم الأديان والمذاهب بكلية الدعوة الإسلامية، وتقوم أقسام الدعوة والعقيدة بكليات أصول الدين بجامعة الأزهر الشريف وغيرها بعمل أبحاث وأطروحات علمية في هذا المجال، كما يصدر عن المؤتمرات الدولية في كلية دار العلوم في مصر وغيرها أبحاث في ذلك.

ب . وهناك جهود فردية قام بها أفذاذ من المتخصصين والعلماء منهم الأستاذ/ محمد قطب، والشيخ/ محمد الغزالي، ومالك بن نبي [١]. والشيخ/ أبو الحسن الندوي [٢] والشيخ/ أبو الأعلى المودودي، والأستاذ/ أنور الجندي، والشيخ/ محمد متولي الشعراوي، و د/ مصطفى السباعي، ود/ محمد عبد الله دراز، والأستاذ/ محمود محمد شاكر [٣]، و د/ محمد البهي، و د/ محمود حمدي زقزوق، و د/ محمد محمد حسين، و د/ عبد الرحمن بدوي، و د/ عبد الرحمن حبنكه الميداني، و د/ محمد مصطفى الأعظمي [٤]، و د/ أكرم ضياء العمري، و د/ قاسم السامرائي، والشيخ/ د/ محمد محمد أبو شهبة... وغيرهم.

وهناك بعض الدراسات التي قاموا بها في هذا الخطب*:

. دفع مفتريات المستشرق هانوتو الذي قام به الأستاذ الإمام/ محمد عبده.

. دفاع عن العقيدة والشريعة، ضد مطاعن المستشرقين، الذي صنفه الشيخ/ محمد الغزالي، في دحض افتراءات جولد تسيهر.

. دفاع عن القرآن ضد منتقديه، د/ عبد الرحمن بدوي، نشر: مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة، ١٩٨٨م.

. شبهات وأباطيل خصوم الإسلام، للشيخ/ محمد متولي الشعراوي.

. القرآن والمبشرون، للشيخ: محمد عزة دروزة، ط/ المكتب الإسلامي بدمشق، وفيه رد واف وتفصيلي على كتاب جولد زيهر نظم القرآن والكتاب.

. الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، وفيه نقض شبهات المستشرقين حول مصدرية

(١) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث.

(٢) الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، نشر: دار الهلال، القاهرة، وكذا كتابه: أباطيل وأسمار، ط/ المدني، القاهرة.

(٤) كتابه: مناهج المستشرقين، نشر: مكتبة التربية العربية لدول الخليج.

*سأذكر موضع نشر بعضها تيسيرا على القارئ

القرآن.

. شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار الشروق.

. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد، وكذا كتابه: ما يقال عن الإسلام، ومصنفه الإسلام دعوة عالمية.

. شبهات المشككين والمرتابين، د/ يوسف القرضاوي.

. افتراءات المستشرقين على الإسلام، د/ عبد العظيم المطعني، القاهرة، سنة ١٩٩٢م.

. أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، ط. دار الإرشاد، القاهرة، ط. أولى، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

. دراسات في الاستشراق ورد شبه المستشرقين حول الإسلام، علي علي شاهين، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

. السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها، مكي الشامي، عمان، دار عمار للنشر، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

. مفتريات على الإسلام، لأحمد محمد جمال، ط. الشعب،ط/٣، سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

. شبهات حول الاستشراق، لفراج الشيخ الفزاري، نشر: دار الثقافة، الدوحة، ط. أولى، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

. قالوا عن القرآن، د/ عماد الدين خليل، منشور على شبكة المعلومات الدولية، موقع شبكة صيد الفوائد، www. Said. net.

. من افتراءات المستشرقين، عبد المنعم فؤاد، مكتبة العبيكان، الرياض.

. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، د/ محمد محمد أبو شهبة.

. المستشرقون، مالهم وما عليهم، د/ مصطفى السباعي، وكذا كتابه: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

. مطاعن المستشرقين في ربانية القرآن، د/ عبد الرزاق بن إسماعيل حرملي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد: ٣٨، سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

. سموم الاستشراق والمستشرقين، أ/ أنور الجندي، ط/ مكتبة التراث الإسلامي.

وللأستاذ المرحوم/ أنور الجندي كتب كثيرة في هذا الشأن منها:

. الإسلام والثقافة العربية، . ومقدمات العلوم والمناهج، وكتابه: الإسلام والدعوات الهدامة [١]، وكتابه: الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي [٢]، وأهداف التغريب (نشرته الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، سلسلة قضايا إسلامية معاصرة).

وقام الدكتور/ محمد البهي بعرض وتفنيد بعض شبهات المستشرقين في كتابه: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

وصنف الأستاذ/أحمد سامبلوفتش مصنفاً جيداً بعنوان: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر [٣].

وكتب الأستاذ/ المهتدي إبراهيم خليل أحمد: الاستشراق والتبشير وصلتها بالإمبريالية العالمية.

ولا أنسى هنا الدكتور/ محمد عبد الله دراز في مناقشته لبعض آراء المستشرقين في كتابه: النبأ العظيم [٤] وكتابه: مدخل إلى دراسة القرآن الكريم الذي نقض فيه فرية انتشار الإسلام بالسيف.

ومن هذه الأعمال أيضاً:

---

(١) نشر: دار الكتاب اللبناني.

(٢) نشرته دار الاعتصام، القاهرة، سنة ١٩٩٦م.

(٣) نشر: دار المعارف، القاهرة.

(٤) الذي دحض فيه بعض الشبه المثارة حول مصدرية القرآن.

. شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة، د/ محمد زين العابدين الطشو، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، القاهرة، سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

. الاستشراق. دراسة تحليلية تقويمية، د/ محمد عبد الله الشرقاوي، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة، د ت.

. الاستشراق. تاريخه، وأهدافه، وشبهات المستشرقين، د/ أحمد شلبي، القاهرة، ١٩٩٦م.

. السيرة النبوية وأوهام المستشرقين، د/ عبد المتعال الجبري، ط/ دار العلم للملايين، بيروت، ط/ أولى، سنة ١٩٨٤م.

. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د/ محمود حمدي زقزوق.

. الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، شوقي أبو خليل، ط. بيروت، سنة ١٩٩٥م. وهذا الكتاب يبحث كيف أسقط المستشرقون والمبشرون عدداً من التهم والافتراءات على الإسلام والنبي ﷺ. وبذل فيه المؤلف جهداً في تفنيد هذه الاتهامات والافتراءات.

. الاستشراق بين دعاته ومعارضيه، وهو عبارة عن مجموعة من البحوث والدراسات لكل من: محمد أركون، ومكسيم رودنسون، وآلان رويسيون، وبيرنارد لويس، ووانسيسكه غابرييلي، وكلود كاهين، ترجمة وإعداد: هاشم صالح، بيروت.

. افتراءات المستشرقين على الإسلام والرد عليها، د/ يحيى مراد، بيروت، ٢٠٠٤م، وفضلاً عما فيه من مواضيع الاستشراق المشتهرة، ففيه: يتناول المؤلف عدداً من القضايا التي اتخذ منها المستشرقون مواقف عديدة وهي:القرآن والسنة والسيرة النبوية ودلائل النبوة والفقه والتشريع الإسلامي والنظام السياسي في الإسلام والحياة الاجتماعية الإسلامية، والاقتصاد الإسلامي والحضارة الإسلامية في الأندلس.

. الإسلام وشبهات المستشرقين، المقداد فؤاد، نشر: المجمع العالمي لأهل البيت، بيروت، د ت.

. هل انتشر الإسلام بالسيف،د/عبد الودود شلبي،نشر:مركز الراية للتراث،د ت.

. شبهات المستشرقين حول الوحي والرد عليها، د/ إبراهيم خليفة عبد اللطيف، بحث منشور في المؤتمر الدولي: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية، عمل كلية دار العلوم، جامعة المنيا، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م ج١.

. الإسلام وشبهات المستشرقين، فؤاد كاظم المقدادي، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، موقع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة:

www. U. Of Islam/ uo Foslam/ Maktapa – mostafriqa qt – Islam

. نقد الخطاب الاستشراقي، د/ سامي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، بيروت، سنة ٢٠٠٢م.

. العقيدة الإسلامية "دراسة لتصحيح الأخطاء الواردة في الموسوعة الإسلامية الصادرة عن دار بريل، لايدن . هولندا"،علي محيي الدين القره داعي،ط/ المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، إيسيكو.

. السنة النبوية ومطاعن المبتدعة فيها، مكي الشامي، دار عمار، عمان، سنة ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

. آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره، د/ محمد إبراهيم رضوان، نشر: دار طيبة، السعودية، ط. أولى، سنة ١٩٩٢م.

. القرآن والمستشرقون،رابح لطفي جمعة،ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة.

. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، د/ قاسم السامرائي، نشر: دار الرفاعي بالرياض، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

. أضواء على الاستشراق والمستشرقين، د/ محمد دياب، ط. دار المنار، سنة ١٩٨٩م.

وهناك جهود قام بها بعض العلماء لدرء شبهات وأخطاء قاموس المنجد الذي ينقسم إلى قاموسين أحدهما للألفاظ العربية والآخر للآداب، إعداد: فردينال توتل والذي شحنه بالأباطيل والضلالات فتصدى لها كثير من الباحثين، وفي مقدمتهم العلامة: عبد الله ابن كنون الذي نشر في مجلة الحق المغربية أكثر من عشرة فصول عنه تضم أكثر من أربعمائة خطأ شائع..

كما أحصى المرحوم/ عبد الستار فراج في بحث له في مجلة العربي أكثر من مائة خطأ تاريخي ولغوي وجغرافي من الأخطاء الصارخة، وأشار إلى أن المؤلف قد اعتمد على دائرة المعارف التي وضعها كبار المستشرقين، وكتاب التمدن الإسلامي لجورجي زيدان وعلى كتاب: تاريخ الشعوب الإسلامية لـ (بروكلمان) [1].

والتصانيف في هذا الشأن كثيرة يعسر حصرها، فقل أن يوجد عالم منذ أن ظهر التأليف في أمة الإسلام إلى وقتنا الحاضر إلا وله تصنيف في رد تحريف الغالين وتأويل الضالين وانتحال المبطلين وبدع الزائغين وشبهات المستشرقين ولعلماء أصول الدين ومتخصصي الدعوة الإسلامية في ذلك القدح المعلى.

ثالثاً: طرق دحض الشبهـات:

لكي تتم مهام عمل الباحثين في دحض شبهات المستشرقين بصورة ناجحة يلزمنا السير على الطرق الآتية مجتمعة متكاملة . إذا تيسر .:

أ . دحض الشبهة من آراء المستشرقين أنفسهم:

من أحسن ألوان الردود على الشبهات الواردة دحضها من مصادر مُلقى الشبهة أو آراء أشياعه، وربما أقوال المستشرق نفسه في بحث علمي آخر.

فعند البحث والتعمق يظهر لك أن مزاعم المستشرقين ينقض بعضها بعضاً

(١) أ/ أنور الجندي، سموم الاستشراق والمستشرقين، ص ٢٤، وانظر: د/ علي عبد الوهاب، بين الإسلام والغرب، ص ٢١٠، ط. دار ركابي، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ويهدم قليل منها سائر أفكارها ونتائجها.

وهذا يمحق هذه الدراسات والبحوث والجهود الكثيرة والمشتهرة بأصالة البحث العلمي وقوته.

ولا يعجز الباحث الموهوب المتبحر الوصول إلى هذه الحجج الدامغة في جهود المستشرقين أياً كانت اتجاهاتهم أو مناهجهم أو ميادين دراساتهم.

ويمتاز الرد من قبل المستشرقين أنفسهم بما يلي:

١ . إتقان معرفة فكر إخوانه وكيفية الوصول إلى تغيير مفاهيمهم بسهولة ويسر.

إقامة الحجج وقوة البراهين ونفي المعاذير للمستشرقين والمغرورين بهم.

٢ . التأثير الكبير فإنَّ دفاعه أكثر انتشاراً وأعلى قدراً عند القوم.

ولكي يتم تحقيق الهدف والوصول إلى الغرض بهذه الطريقة الدامغة يلزم التركيز على ثلاثة أمور:

أحدها: النقد الذاتـي:

نقد المستشرقين لجهود وأفكار ومناهج وأعمال فريق منهم أو أقطابهم، أو لأساليب المستشرقين عامة أو نقدهم لأعمالهم أنفسهم جلية مستبينة وتزداد جلاءً عند التعمق في البحث والاستقصاء.

ونأخذ أنموذجاً واحداً للدلالة على هذا المقصود في نقد مونتغمري وات، فقد نقد أبحاث أشياعه ومناهجهم وأفكارهم وأساليبهم فقال: وإذا حدث أن كانت بعض آراء العلماء الغربيين غير معقولة عند المسلمين، فذلك لأن العلماء الغربيين لم يكونوا دائماً مخلصين لمبادئهم العلمية، وأن آراءهم يجب إعادة النظر فيها من وجهة النظر التاريخية الدقيقة [١].

---

(١) مونتغمري وات، محمد ﷺ في مكة، المدخل.

كما نقد أقطاب المستشرقين المبرزين في الحقد على الإسلام، فكتب مشيراً إلى نقص مراجع المستشرق الإيطالي ليون كايتاني، مما يعني نسبية النتائج التي انتهى إليها. وبالتالي يجب تقييم مبالغاته في الشك (١) وعدم التسليم لطريقته التشكيكية.

ونحو هذا أنكر على الأب هنري لامنس فهو يقول: وقد أصبح شائعاً في الدوائر الاستشراقية أن الأب لامنس يتجاوز الأدلة كثيراً؛ إذ إن طريقته العابثة في المعالجة ليست طريقة علمية، فهو يرفض هذا الرأي ويقبل الآخر حسب أفكاره الخاصة ومعتقداته دون أن يعبأ بالموضوعية (٢).

ولم يقتصر الأمر على نقد وات للمستشرقين عامة وأقطابهم خاصة بل نقد جهوده الاستشراقية، فقال . كما سلف . ولا يعني هذا أنني أرى من الضرورة اتخاذ وجهة نظر مادية لضمان حياد المؤرخ، بل أنا . على العكس . أعبر كمؤمن موحد صريح . يقصد كونه مسيحياً!! . ولاشك أن هذا الموقف الأكاديمي ناقص نوعاً ما إذ يجب على المسيحيين تحديد موقفهم من محمد بقدر اتصال المسيحية بالإسلام، ويجب أن يقوم هذا الموقف على أسس فقهيه... وأنا أعترف بما في كتابي من نقص في هذا الصدد (٣).

ولم يكن وات وحده هو الناقد لأبحاث هنري لامنس بل وافقه في ذلك جمهور المستشرقين.

والحقيقة أنه لم ينج من النقد والتقويم أي مستشرق معاصر وقد تعرض مثلاً المستشرق الكبير ماسينيون (٤) لنقد تلميذه جاك بيرك الذي أظهر محدودية مناهجه

---

(١) السابق نفسه، ص ٦. (٣) السابق، ص ٢٤٢.

(٣) محمد ﷺ في مكة، المدخل.

(٤) لويس ماسينيون (١٨٨٣ . ١٩٦٢م)، فرنسي له علاقات كثيرة مع المبشرين والمستعمرين، من مؤلفاته: آلام

ومقارباته، وقد ظهرت خلافاتهما بدءاً من نقاشهما في (حوار حول العرب) حيث كان بيرك يبرز أمام محاوره ضرورة تبني لغة جديدة تنسجم مع الحس الجدلي والشعور التاريخي [1].

ومضاهٍ لهذا صنيع هاملتون جب [2] الذي أظهر في نقده لماسينيون الطابع القائم على الاعتقاد السابق لا الارتباط بالإطار المعرفي الذي يستند إلى المصادر في تحليلاته للمواضيع الإسلامية، وعدم فصله بين الذات والموضوع فيها مما شكل عقبة أمام من يحاول أن يتتبع آراءه [3].

وعلى هذا يمكن لمجابه افتراءات هؤلاء أن يظفر في كتاباتهم بما يعضده في نقدهم الذاتي لأعمالهم.

وأحياناً نجد مستشرقاً يرد على مستشرق آخر ويفند آراءه كما حدث من غوستاف لوبون [4] عندما رد على رينان في نفيه وجود تاريخ للعرب قبل ظهور محمد ﷺ [5].

وممن نقد مزاعم المستشرقين ورماها بالبطلان والتناقض وأومأ إلى علتها الحقيقية أميل ديرمنجهم، وهو من المستشرقين الفرنسيين الذين كتبوا عن حياة رسول الله ﷺ في كتابه حياة محمد [6] الذي يعد خير مصنفات المستشرقين عن النبي ﷺ، وقد اعتمد عليه محمد حسين هيكل في كتابه: حياة محمد، وكثير غيره من الذين كتبوا

الحجاج، التفكير الإسلامي، المستشرقون ١/ ٢٦٣.

(١) د/ سالم خميس، الاستشراق في أفق انسداده، ص ٧٩، منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، ط/١، سنة ١٩٩١م.

(٢) جب (١٨٩٥ . ١٩٧١م) إنجليزي، اشتغل بالأستاذية في عدد من الجامعات، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط، من مؤلفاته: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، العرب، المستشرقون ٢/ ١٢٩.

(٣) في كتابه حضارة العرب، ص ٨٧.

(٤) السابق نفسه ص ٧٧.

(٥) وأنا أوافق رينان على رأيه إذا عني به الحضارة الحقيقية المؤثرة.

(٦) محمد حسين هيكل، حياة محمد ﷺ، ص ١١٥، وانظر:

.Emile Der Menjhem, The Life Mohammad New York 1930

سيرة النبي ﷺ، يقول أميل ديرمنجم: حين اشتعلت الحرب بين الإسلام والنصرانية ودامت عدة قرون اشتد النفور بين الفريقين، وأساء كل منهما فهم الآخر، ولكن يجب الاعتراف بأن إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر مما كانت من جانب الشرقيين ففي الواقع أنه على إثر تلك المعارك العقلية العنيفة التي أرهق فيها الجدليون والبيزنطيون الإسلام بمساوئ واحتقارات دون أن يتعبوا أنفسهم في دراستهم هبَّ الكتاب والشعراء المرتزقة من الغربيين [١]،وأخذوا يهاجمون العرب فلم تكن مهاجمتهم إياهم إلا تهماً باطلة بل متناقضة.

ومونتجمري وات [٢] فند أخطاء كثيرين من زملائه المستشرقين أمثال بيكر ولامنس وشاخت وغيرهم، وأوضح أنهم لم يفهموا ما جاء في السيرة النبوية والأحاديث الشريفة ببحث علمي دقيق.

وقدم كثيراً من الدراسات المتينة الأصيلة حول سيرته ﷺ وأحاديثه، ومما قدم:

1- Mohammad at Macca

2-Mohammad at Madina

3-Mohammad ad Prophet & States Man

4-Political Thought In Islam

5-Islam & The Integration Of Society

وقام بالرد على كثير من المستشرقين الذين رموا النبي ﷺ بنعوت خرجوا فيها وتجاوزوا بها كل المسلمات والبدهيات حتى رسخوه في العقلية الأوربية الحديثة، وظهر في الهجوم العنيف على آثاره ﷺ.

---

(١) العقيقي، المستشرقون، ص ٥٤١، و محمد حسين هيكل، حياة محمد، ص ٤٠.

(٢) وإن كنا نرفض وندحض ما ورد في كتابه: الفكر السياسي الإسلامي "المفاهيم الأساسية" من أحكام ومنها: أن الدولة الإسلامية منذ نشأتها وحتى بداية العهد العباسي كانت ترتكز على المفاهيم السياسية السابقة للإسلام، وأنها في جوهرها كانت اتحاداً من القبائل، وأن الغنيمة كانت المطمع الأساسي المحرك للسواد الأعظم من المسلمين المشاركين في حملات التوسع العربية بعد وفاة النبي ﷺ، وأن التفكير السياسي الإسلامي يخلو تماماً من ذكر فعلي لمفهوم الحرية وسائر الحقوق الإنسانية... الخ.

ويصف كارليل [(١)] عمل أشياعه في حق الإسلام ونبيه ﷺ بالظلم والعدوان فيقول بحق: (ما كان محمد أخا شهوات برغم ما اتهم هبه ظلماً وعدواناً) [(٢)].

ومن أهم الأقوال التي تدحض ما ذهب إليه المستشرقون المغالون بغير حق في موقفهم من الإسلام والمعادون للنبي ﷺ ما جاء في مقال مهم للمستشرق جوهان فيك، وعنوانه: Islam as an Historical Problem in Historiography الإسلام مشكلة تاريخية في العالم الغربي.

وفي هذا المقال الرائع أجوبة متينة وجيدة على مزاعم وأخطاء المستشرقين خاصة المناهج الخاطئة التي أغرقتهم في تفسيرات ضالة وأثمرت استنتاجات فاسدة مفسدة.

وممَّن أحسنوا القول في تكذيب ما افتراه أبناء جلدتهم المستشرق الإنجليزي هولت الذي يقول: إن هذه الكتابات... يقصد كتابات المستشرقين تمثل أخطاء واضحة بمستوى الدراسات التاريخية الحديثة [(٣)].

هكذا يتبين لك عدم التجرد واتباع الهوى والتعصب الأعمى واضحاً في أحكام المستشرقين ودراساتهم وهذا ما يعترف به كثير منهم أمثال بيرسي كمب Percy Kemp من غياب الموضوعية عند كثير من الدراسات الاستشراقية [(٤)].

ويقول المستشرق الألماني المعاصر استفان فيلد: والأقبح من ذلك أن توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل

---

(١) توماس كارليل (١٧٩٥ . ١٨٩٨٩١م) إنجليزي، من أشهر كتبه: الأبطال، (١٨٤٠م)، كتب فيه فصلاً عن النبي ﷺ.

(٢) توماس كارليل، الأبطال، ص ٩١، ترجمة: محمد السباعي، دار الهلال، القاهرة، ١٩٨٧م.

(٣) د/ فتحية النبراوي، المستشرقون والسيرة النبوية المطهرة،ضمن أبحاث المؤتمر الدولي: المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية، ج١ ص ٢٠٤.

(٤) محمد خليفة الحسن، أزمة الاستشراق الحديث،ص ٢٢٠،ط. جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

مكافحة الإسلام والمسلمين، وهذا واقع مؤلم لابد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة [١].

فلسنا ندعي عليهم سوء نيتهم وفساد طويتهم وخروجهم عن ميزان الحق.

الثاني: بيـان التناقـض:

وظاهرة التناقض . رغم اتحادهم في الظاهر . جلية واضحة في كتاباتهم ودراساتهم وجهودهم، بل إنك ترى المستشرق الواحد عينه يناقض نفسه في القضية الواحدة، فتراه يقرها في مصنف من مصنفاته وينكرها في مصنف آخر.

يقول ناصر الدين دينيه: إنَّ هؤلاء المستشرقين الذين حاولوا نقد سيرة النبي ﷺ بهذا الأسلوب الأوربي البحت لبثوا ثلاثة أرباع قرن يدققون ويمحصون بزعمهم حتى يهدموا ما اتفق عليه الجمهور من المسلمين من سيرة نبيهم ﷺ، وكان ينبغي لهم بعد هذه التدقيقات الطويلة العريضة العميقة أن يتمكنوا من هدم الآراء المقررة والروايات المشهورة من السيرة النبوية، فهل تسنى لهم شيء من ذلك؟

الجواب: أنهم لم يتمكنوا من إثبات أقل شيء جديد، بل إذا أمعنا النظر في الآراء الجديدة التي أتى بها هؤلاء المستشرقون من فرنسيين وإنكليز وألمان وبلجيكيين وهولنديين وغيرهم لا نجد إلا خلطاً وخبطاً، وإنك لترى كل واحد منهم يقرر ما نقضه غيره من هؤلاء المدققين . بزعمهم . أو ينقض ما قرره.

ثمَّ أخذ يذكر أمثلة على هذه التناقضات، وختم كلامه بقوله: وإن أردنا استقصاء هذه التناقضات التي نجدها بين تمحيصات هؤلاء الممحصين بزعمهم يطول بنا الأمر، ولا نقدر أن نعرف أية حقيقة، ولا يبقى أمامنا إلا أن نرجع إلى السيرة النبوية التي كتبها العرب، فأما المؤلفون الذين يزعمون أنهم يريدون ترجمة محمد

---

(١) د/ محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٤٤.

بصورة علمية شديدة التدقيق، فلم يتفقوا منها ولو على نقطة مهمة.... [1].

الثالث: الاستفادة من المهتدين والمنصفين منهم:

المستشرقون ليسوا سواء، وإن غلب عليهم طابع الحقد والكراهية.

فمنهم من قد تبين له الحق، فأعلن عن تصديقه غير مكترث بشيء، فآمن بالإسلام عن يقين، ودافع عنه بإخلاص.

ومنهم من تبين له برهان صدق دين الإسلام لكنه لم يسلم، ومن هؤلاء مايكل هارت الذي قال في كتابه: الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ [2]: لقد اخترت محمداً في أول هذه القائمة، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار ومعهم حق في ذلك، ولكن محمداً ﷺ هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي.

ومنهم: جوستاف لوبون الذي إن أخطأ لا يكون عن حقد وبغض وعمد، وإنما عن سوء قصد ومنهم من سلك طريق المنهاج العلمي الخالص فوصل إلى الإسلام أو أنصفه حقه.

ومنهم من أراد الشهرة والرغبات الشخصية.

ومنهم من غلبه حب المال فسعى إليه عن طريق الاستشراق.

ومنهم من سلك هذا الطريق كراهية للكنيسة ورغبة في كسر شوكتها.

ومنهم من وَلِعَ بالرحلات والتنقل والسياحة فحقق بغيته بهذا الأسلوب.

ومنهم من كان غرضه التجارة.

ومنهم من رام الاطلاع على ثقافات العالم القديم.

ومن المستشرقين من أنجز دراسات مهمة ومبتكرة جعلت أهدافها الرئيسة رد

(١) من كتابه الذي ألفه في الرد على الأب "الامنس" اليسوعي بعنوان: إنك في واد وإنا لفي واد، نقلاً عن مقدمة حاضر العالم الإسلامي، للأمير شكيب أرسلان ١/ ٣٣. (٢) الخالدون مائة، ص ١٣، إعداد: أنيس منصور.

مطاعن كبار المستشرقين، ومن هؤلاء دانيل دينيت.

وعلى رأس هؤلاء المهتدين والمنصفين: ناصر الدين دينيه.

ومنهم المستشرق النمساوي فيس بولد فايس [1] الذي أسلم وتسمى بمحمد أسد. وألف كتابه العظيم: الإسلام على مفترق الطرق، وقد أرجع فيه تأخر المسلمين واستسلامهم لواقعهم المرير واستغراقهم في السباب العميق إلى هجرهم جوهر الإسلام وتعاليمه، واقتصارهم على جسد الإسلام دون روحه، وعندما تعود الروح إلى الجسد تدب الحياة في عقولهم وقلوبهم من جديد... والمسلمون ليسوا محتاجين إلى ثقافة الغرب وفكره وفلسفته وحضارته...، فقد كانوا أعظم منه، وأوربا اليوم مدينة بنهضتها من ظلام القرون الوسطى إلى حضارتهم.

ومن مؤلفاته أيضاً:أصول الفقه الإسلامي، والطريق إلى مكة، ومبادئ الدولة والحكومة في الإسلام.

ومنهم أيضاً المستشرق عبد الكريم جرمانوس[2] العالم المجري الذي اعتنق الإسلام في الهند وتوفى سنة ١٩٧٩م، كان يتمنى أن يعيش مائة عام، لأن اللغة العربية في رأيه تحتاج إلى مائة سنة لفهمها، أحب الإسلام واللغة العربية، وخدمهما، ألف أكثر من مائة وخمسين كتاباً عن الإسلام منها: ١ . الله أكبر.

٢ . الحركات الحديثة في الإسلام.

٣ . شوامخ الأدب العربي. ٤ . معاني القرآن. ٥ . دراسات في التركيبات اللغوية العربية .

---

(١) مع ما لنا عليه من تحفظات كثيرة في ترجمته لمعاني القرآن، ومنها: أنه ذهب إلى أن الحجاب يقصد به اللباس المحتشم وستر الزينة، وعاب من قصروا إلا ما ظهر منها على الوجه والكفين، ورأى أن الربا المحرم في القرآن هو الربا القائم على استغلال حجة الفقير، فالربا عنده مسألة أخلاقية فقط... راجع: Mohammad Asad, The Message Of The Qura,n Dar Al andalus, Gibraltar, 1980 p 66, 199

(٢) ولد في ١١/ ١١/ ١٨٨٥م في بودابست عاصمة المجر، وتوفى ١١/ ١١/ ١٩٧٩م، أجاد الإنكليزية والفارسية والأردية والتركية والعربية، قراءة وكتابة، كان عضواً في المجمع اللغوي في القاهرة، أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٣٣، ١٣٤.

ومنهم: مراد هوفمان [1]: الذي يعد من أنشط الغربيين في الدعوة إلى الإسلام، وقد صنف منذ إسلامه سنة ١٩٨٠م عدة تصانيف منها:

١ . يوميات ألماني مسلم.　　　　٢ . الإسلام كبديل.

٣ . الإسلام عام ٢٠٠٠م.

ومنهم روجيه جارودي الذي ألف في خدمة الإسلام: وعود الإسلام، والإسلام دين المستقبل، والأخلاق والدين، وحول الدين... والفرنسي عبد الواحد يحيى غينون (رينيه غينون قبل إسلامه) (ت ١٩٥١م).

وهذا هو المستشرق السويسري روجيه دوباسكويه [2] الذي اهتدى إلى الإسلام وصنف مؤلفه: . أثناء مسيحيته . إظهار الإسلام [3] ونعى فيه على الحضارة الأوربية، فوصفها قائلاً: خلصت هذه الحضارة إلى نظام يحط من قيمة الفرد ويخدعه ليدمره في النهاية، إنها تحط من قدره، لأنها تختزله إلى مجرد مادة ووظائف كمية.. وتخدعه بجعله يعتقد أنه يفضل التقدم. ونظام اجتماعي أفضل، والتحرر من آخر القيود المفروضة من الماضي سيتم استقباله يوماً في دولة النعيم.. والانتصار على المعاناة برغم أن المعاناة لازمة من لوازم الحالة الإنسانية.

وبعض الذين درسوا الإسلام وآدابه لأهداف علمية أثنوا عليه ومجدُّوه، ومن هؤلاء المنصفين ريتشارد سيمون في كتابه: التاريخ النقدي وعادات أمم الشرق، وهارديان ريلاند في كتابه: الديانة المحمدية حيث قام بتصحيح الآراء الغربية عن الإسلام، فاتُهم بالدعاية للإسلام.

---

(١) مستشرق ألماني ولد سنة ١٩٣١م لأسرة كاثوليكية، درس بأمريكا وحصل على الماجستير في القانون الأمريكي من هارفارد سنة ١٩٦٠م، وعمل في الإدارة الخارجية الألمانية من ١٩٦١م حتى ١٩٩٤م، عين سفيراً في الجزائر سنة ١٩٨٧م، وانتقل منها إلى المغرب سنة ١٩٩٠م سفيراً إلى أن تقاعد سنة ١٩٩٤م، ويعيش الآن في تركيا. انظر: غلاف كتابه: الإسلام كبديل، ط. دار الشروق، القاهرة، ط/١، سنة ١٩٩٧م.

(٢) مستشرق سويسري عدَّه مراد هوفمان في كتابه الإسلام في القرن العشرين من المهتدين إلى الإسلام.

(٣) انظر ص ١٠، مكتبة الشروق، القاهرة، د ت.

لكن عليه أن يحذر من زلات بعضهم، فهؤلاء الذين شهد لهم الكثير بأنهم منصفون لم يتبعوا سنن الحيدة في سائر دراساتهم بل أنصفوا في بعضها وحادوا في البعض الآخر فتوماس أرنولد [١] الذي أحسن وأجمل في كتابه: الدعوة إلى الإسلام عاد إلى أصله وتعصب ضد الإسلام وخرج عن حدود البحث العلمي النزيه في مؤلفه: الخلافة The Caliphate حيث زعم أن الخلافة الإسلامية كانت تمثل حكماً مستبداً [٢] تضع في يد الحاكم السلطة الدينية.

وحتى المستشرقين الذين عرفوا بالعداء للإسلام والتشنيع عليه والكيد له لم نعدم أن نجد في مؤلفاتهم ما يبرهن على صحة مبادئنا.

فرينولد نيكلسون (١٨٦٨ . ١٩٤٥م) المعروف بعدائه للإسلام، والذي حاول أن يثبت تأثر رجال التصوف الأوائل بمذاهب أجنبية بعيدة عن الإسلام، تراجع عن آرائه وقرر أن التصوف الإسلامي نشأ عن الكتاب والسنة،وكان تطوره تطوراً إسلامياً خالصاً.

وأرنولد توينى الذي حذر من تأثير وحدة المسلمين على الغرب . الذي كان رعب المحتلين . اعترف بتسامح المسلمين مع الطوائف الأخرى، وبأن الإسلام أكثر الأديان اتفاقاً مع المنطق [٣].

والمستشرقون الحاقدون المنكرون للمصدر الرباني للقرآن الحكيم أجمعوا على سموه من حيث لفظه وتراكيبه وصوره بل وروعته وسحره وإعجاز بلاغته، حتى قرر بلاشير أن القرآن تحفة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف...

(١) أرنولد توماس ووكر (١٨٦٤ . ١٩٣٠م) مستشرق إنجليزي، شغل أول كرسي للغات العربية في معهد الدراسات الشرقية في لندن. من تأليفه: تعليم الإسلام، والمعتزلة، والدعوة إلى الإسلام، والإيمان في الإسلام، ونظام الخلافة الإسلامي، المستشرقون ٢/ ٨٤.

(٢) توماس أرنولد، الخلافة، ترجمة: جميل معلى، ص ٢٧، وانظر أيضاً: ص ٢١، ٢٥، ط/ دار اليقظة العربية للتأليف والنشر سنة ١٩٤٦م.

(٣) د/ مصطفى الخالدي،ود/ عمر فروخ،التبشير والاستعمار، ص ٣٤، ط/ المكتبة العصرية، بيروت، ط/٣، سنة ١٩٨٣م.

ومعنى هذا أنهم قد وافقوا . إلى حد ما . المستشرقين المسلمين والمنصفين للإسلام في هذا الحكم.

وإليك ردوداً شافية من أقوال المستشرقين على أهم الشبهات التي أثارها إخوانهم حول الإسلام:

ففي فضل رسالة الإسلام وسلامتها من العيوب وصدق حاملها ﷺ يقول كارليل: لقد أصبح من العار أن يصغى إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القائلين: إنَّ دين الإسلام كذب، وأن محمداً لم يكن على حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة، فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً لملايين من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة أكذوبة [١].

. وفي انتشار الإسلام أبطل لوبون وغيره من المحايدين مفهوم الغربيين حول انتشار الإسلام بالسيف، وبرهن على ذلك بعدم ارتداد المسلمين بعد اعتناقهم للإسلام إنَّ القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم، فإذا حدث وأعتنق بعض أقوام النصرانية الإسلام، واتخذوا العربية لغة لهم، فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثله من سادتهم السابقين.. ولم ينتشر القرآن بالسيف إذن، بل انتشر بالدعوة وحدها، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول، وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما زاد معه عدد المسلمين على خمسين مليون نفس، ويزيد عدد مسلمي الهند يوماً فيوماً، مع أن الإنجليز... يجهزون البعثات التبشيرية ويرسلونها تباعاً إلى الهند لتنصير المسلمين على غير جدوى... وبهذا نفسر السبب في عدم تنصر أي أمة بعد أنن رضيت الإسلام ديناً، سواء كانت هذه الأمة غالبة أم

(١) توماس كارليل، الأبطال، ص ٥٨، ترجمة: محمد السباعي.

مغلوبة [١].

وفي فضل القرآن وعلو قدره وحفظه دون سائر الكتب السماوية وسبقه للحقائق الحديثة.

برهن المستشرق الفرنسي موريس بوكاي على أن القرآن الكريم تضمن حقائق علمية لم تكتشف إلا في العصر الحديث، وأنه وحده هو الذي سبق هذه الحقائق ووافقها بخلاف العهد القديم والأناجيل حتى انتهى قائلاً: إنَّ أول ما يثير الدهشة في روح من يواجه مثل هذا النص لأول مرة هو ثراء الموضوعات المعالجة، فهناك الخلق وعلم الفلك وعرض لبعض الموضوعات الخاصة بالأرض وعالم الحيوان وعالم النبات والتناسل الإنساني وعلى حين نجد في التوراة أخطاء علمية ضخمة لا نكتشف في القرآن أي خطأ، وقد دفعني ذلك لأن أتساءل: لو كان كاتب القرآن إنساناً كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح أنه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة [٢].

ورأينا كثيراً من منصفي المستشرقين يعزِّرون خاتم النبيين محمد ﷺ ويثبتون تفوقه الخلقي على غيره من الخلق حتى قال كارليل: ويزعم المتعصبون أن محمداً لم يكن يريد بدعوته غير الشهرة الشخصية والجاه والسلطان... كلا واسم الله، لقد انطلقت من فؤاد هذا الرجل الكبير النفس المملوء رحمة وبراً وإحساناً وخيراً ونوراً وحكمة أفكار غير الطمع الدنيوي، وأهداف سامية غير طلب الجاه والسلطان، ويزعم الكاذبون أن الطمع وحب الدنيا هو الذي أقام محمداً وأثاره، حمق وسخافة، وهوس إن رأينا رأيهم، ما حاجة رجل على شاكلته في جميع بلاد العرب وفي تاج قيصر وصولجان كسرى... لم يكن كغيره يرضى بالأوضاع الكاذبة، ويسير تبعاً للاعتبارات الباطلة، ولم يقبل أن يتشح بالأكاذيب والأباطيل، لقد كان منفرداً بنفسه العظيمة وبحقائق الكون

---

(١) حضارة العرب . له . ص ١٢٥.

(٢) موريس بوكاي، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ١٤٥، ط/ دار المعارف، بيروت.

والكائنات، لقد كان سر الوجود يسطع أمام عينيه بأهواله ومحاسنه ومخاوفه [١] [٢].

ويقول بوسووث سميث في كتابه (محمد والإسلام) الصادر في لندن سنة ١٨٧٤م: إنه من المستحيل لأي شخص درس حياة وشخصية الرسول العربي العظيم، وعرف كيف عاش وكيف تعلم، ألا ينحني احتراماً لهذا الرسول المبجل القوي، الذي هو واحد من أعظم رسل الله، ومهما أقل لكم فإني سأقول أشياء كثيرة معروفة للجميع، ولكن حينما أعيد قراءتها أشعر بمزيد من التقدير والإعجاب [٣].

ومنهم من أثبت للنبي ﷺ النبوة والرسالة، وتفوقه في كلا الجانبين، يقول المستشرق جاك بيرك [٤]: إن محمداً يجمع بين صفتين، صفة النبي وصفة الرسول، أي إنه لا يتمتع بمعرفة نافذة بالمقدس فقط ككثير من الأنبياء قبله، ولكن شخصه كان إضافة إلى هذا أداة لإيصال فكرة محددة عن الله إلى البشر [٥].

ويصف ول ديورانت أخلاق الرسول ﷺ بأنها في غاية السمو والرقي والتفوق والاعتدال فيقول: لم يتعاط الخمر التي حرمها هو على غيره، وكان لطيفاً مع العظماء، بشوشاً في وجه الضعفاء عظيماً مهيباً أمام المتعاظمين... متسامحاً مع أعوانه، يشترك في تشييع كل جنازة تمر به، ولم يتظاهر قط بأبهة السلطان، وكان يرفض أن يوجه إليه شيء من التعظيم الخاص، يقبل دعوة العبد الرقيق إلى الطعام، ولا يطلب إلى عبد أن يقوم بعمل يجد لديه من الوقت والقوة ما يمكنانه من القيام به بنفسه، ولم يكن ينفق على أسرته إلا القليل من المال.. وكان يخص الصدقات بالجزء الأكبر [٦].

---

(١) نصر الدين دينيه، محمد رسول الله ﷺ، مقدمة: د/ عبد الحليم محمود، ص ٢٠، ٢١.

(٢) ولجوستاف لوبون كلمة رائعة عن أخلاق البني ﷺ في حضارة العرب، ص ١٤١.

(٣) محمد حلمي، علماء الغرب يدخلون الإسلام، ص ٣٢.

(٤) جاك بيرك: مستشرق فرنسي، أستاذ التاريخ الاجتماعي للإسلام المعاصر في معهد فرنسا، من مؤلفاته: الأدب العربي المعاصر، المستشرقون ١/ ٣٣٦.

(٥) Les Arhes d,hier – J. Ber ques – p 7 نقلاً عن:نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي،ص ٢٥٢.

(٦) قصة الحضارة، ج ١١ ص ٤٥.

وفي حسن معاملة أهل البلاد المفتوحة وإعطائهم حقوقهم وعدم تكليفهم فوق طاقتهم يقول إميل درمنجهم، ينعت النبي ﷺ: لقد أبدى من الكرم وعظمة النفس ما لا تجد مثله في التاريخ إلا نادراً، وكان يوصي جنوده بأن يرحموا الضعفاء والشيوخ والنساء والأولاد، وكان ينهي عن هدم البيوت وإهلاك الحرث وقطع الشجر المثمر [١].

وممن أكد على مزايا حكم المسلمين للأندلس واعترف بعدالة المسلمين مع أهل البلاد المفتوحة المستشرق دوزي [٢] Dozy.

ويقول جوستاف لوبون: إنَّ الإسلام الذي أتى به محمد ﷺ لم ينتشر بحد السيف، مؤكداً على أن التسامح الذي لاقاه أهل البلاد المفتوحة على أيدي الفاتحين هو الدليل الأكيد على هذا الرأي.

ويدعم هذا الرأي المؤرخ الإيطالي كايتاني الذي ردَّ بنفسه على ادعاءات وافتراءات المستشرقين، ودحض آراءهم المشوهة والمغلوطة حول النبي ﷺ. واستطاع كايتاني بفهمه الواضح للسيرة النبوية أن يرسم صورة صحيحة مشرقة لحياة النبي ﷺ مركزاً على مقدرته وكفاءته في بناء الدولة الإسلامية الأولى في المدينة [٣].

وفي سبق الحضارة الإسلامية وتفوقها على الحضارة الغربية إلى درجة صناعتها لهذه الحضارة يقول جوستاف لوبون: كلما أمعنا النظر في دراسة حضارة العرب وكتبهم العلمية وفنونهم ظهرت لنا حقائق جديدة... ولسرعان ما رأينا أن العرب هم أصحاب الفضل في معرفة القرون الوسطى لعلوم الأقدمين، وان جامعات الغرب لم تعرف لها

(٤) حياة محمد . له . ص ١٩٧.

(٢) المستشرق الهولندي رينهرت دوزي R. Dozy (١٨٢٠ . ١٨٨٣م) من آثاره: معجم الملابس العربية، والذيل أو ملحق المعاجم العربية، ربط فيه بين الألفاظ العربية الأصلية والألفاظ الدخيلة، والمسلمون في الأندلس (أربع مجلدات). أخبار بني عباد عنه: نقل الكتاب العرب، وأبحاث في التاريخ السياسي والأدبي لأسبانيا خلال العصر الوسيط (مجلدان)، وهو كتاب يصحح كثيراً من الأخطاء الشائعة في أذهان المستشرقين عن تاريخ المسلمين في أوربا، كما نشر وحقق عدة كتب.

(٣) د/ عبد الفتاح فتحي، المستشرق دوزي وكتابه المسلمون في الأندلس، ج ٢ ص ٥٢١، ضمن أبحاث المؤتمر الدولي: المستشرقون والدراسات العربية، م. س .

مدة خمسة قرون مورداً علمياً سوى مؤلفاتهم، وأنهم هم الذين مدنوا أوربا: مادة وعقلاً وأخلاقاً [١].

بل إنَّ حضارة أوروبا المعاصرة لا تمت إلى الإغريق بصلة، فقد قال الأستاذ بريفوت الإنجليزي في كتابه تكوين الإنسانية:لم يكن إيطاليا مهداً لحياة أوربا الجديدة، بل إسبانيا (الأندلس)، لأن أوربا كانت قد بلغت أشد أعماق الجهل والفساد ظلمة، بينما العالم العربي: بغداد . القاهرة . قرطبة . طليطلة، كانت مراكز الحضارة والنشاط العقلي، ومن ثم ظهرت الحياة الجديدة التي نمت في شكل ارتقاء إنساني جديد [٢].

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: لو أردنا دليلاً على مدى الهوة العميقة التي كانت تفصل الشرق عن الغرب لكفانا أن نعرف أن نسبة ٩٥% من سكان الغرب في القرون التاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر (الميلادي) كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة وبينما كان شارل الأكبر [٣] يجهد نفسه في شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة، وبينما أمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة أو القراءة، وفي الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم لدرجة أنه عام ١٢٩١م لم يكن في دير القديس جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع حل الخط.

بينما كان هذا كله يحدث في الغرب كانت آلاف مؤلفة من المدارس في القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يميل إلى السواد فوق ألواحهم الخشبية ويقرأون مقاطع من القرآن حتى يجيدوها، ويجوّدون ذلك معاً بلحن جميل عن ظهر قلب، ثمَّ يتقدمون خطوة تلو الأخرى في المبادئ لقواعد اللغة، وكان الدافع إلى كل هذا هو رغبتهم الصادقة في أن يكونوا

(١) حضارة العرب، ص ٣٨. (٣) الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، ص ٢٣٩.

(٣) شارلمان أو شارل الأول الكبير (٧٤٢ . ٨١٤م) ملك الإفرنج وإمبراطور الغرب.

مسلمين كما يجب أن يكون المسلم [١].

فزيغريد هونكه معجبة بالأدب العربي والحضارة العربية والأخلاق العربية والتسامح العربي إلى حد أنها اتهمت بالتعصب الشديد للعرب والتحيز لهم، ومؤلفاتها كلها تشيد بفضل العرب على الحضارة الإنسانية عامة والغربية خاصة، والتي من أشهرها: شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربا) ويقع في خمسمائة وثمانية وثمانين صفحة، وهو مؤلف عظيم الخطب يبين تقدم العرب في ميدان الثقافة والعلوم المختلفة انطلاقاً من قواعد الإسلام التي تحض على طلب العلم.. كما يوضح مدى تأثر الغربيين بالحضارة الإسلامية في سائر الميادين.

يقول المستشرق الروسي أليكس جوارفسكي في كتابه: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى آفاق الحوار والتفاهم: في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد.. أصبح فيهما علماء المسلمين وفلاسفتهم أساتذة ومعلمين بالنسبة لمسيحي أوربا، فكان لنم نفوذهم القوي وهيبتهم العظيمة وتأثيرهم الذي لا يضاهي،ووسعت الترجمات من العربية إلى اللاتينية آفاق المعرفة الأوربية للفكر العلمي . الفلسفي . القديم..

كان تأثيرالإسلام في أوربا في القرون الوسطى شاملاً ميادين كثيرة ومهيمناً على جوانب متعددة، ويمكن القول: إنَّ هذا التأثير عمَّ . بدرجة كبيرة أو صغيرة . مستويات الحياة الأوربية جميعاً... بما في ذلك النواحي المعيشية والتجارية والاقتصادية والتقنية والسياسية والآداب والعلوم والفلسفة والدين.. والحقيقة أن الإسلام لم يعط أوربا معارف جديدة، بل أثر جوهرها في طبيعة العمليات الثقافية وتطورها وساعد في كثير من الحالات على تشكل الوعي الذاتي الأوربي [٢].

ورغم إنكار بعض المستشرقين عالمية رسالة الإسلام فهناك من أثبتها، ومنهم

(١) زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، ص ٣٩٣، نشر: دار الآفاق الجديدة، ط/٢، سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٢) عالم المعرفة، عدد: ٢١٥، ترجمة: خلف محمد الجراد، ص ٢٨، ٣٣، ٢٢٢، سنة ١٩٩٦م.

جولد زيهر ونولدكه وشاخو [١] الذي قال: إن الرسالة الإلهية ليست مقصورة على العرب، بل إنَّ إرادة الله تشمل جميع المخلوقات، ومعنى ذلك خضوع الإنسانية كلها خضوعاً مطلقاً [٢].

وفي بيان عظمة أنظمة الإسلام وأهليتها للتطور والمرونة وصلاحها لكل زمان ومكان وجدنا الباحثين عن الحقيقة منهم يذعنون لهذه الحقائق ويقرون بها.

يقول د/ هونكج أستاذ الفلسفة في جامعة هارفارد: إنَّ في نظام الإسلام استعداداً داخلياً للنمو [٣].

ويقول رجل القانون فمبري: إنَّ فقه الإسلام واسع لدرجة أني أعجب كلما فكرت في أنكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والأحكام الموافقة لزمانكم.

ويذهب إلى الرأي نفسه العلامة ساتيلانا فيقرر أن الفقه الإسلامي يكفي المسلمين في تشريعهم إن لم نقل: إنه يكفي البشرية كلها [٤].

وفي حِكَم زواج النبي ﷺ يرد ول ديورانت [٥] على إخوانه الذين اعتقدوا أنه كان شهوة، فيقول: وكان النبي ﷺ يقبل عليه، وهو مرتاح الضمير، لا يبغي به إشباع الشهوة الجنسية، ولقد كانت بعض زيجاته من أعمال البر والرحمة بالأرامل الفقيرات التي توفى عنهن أتباعه وأصدقاؤه، وكان بعضها زيجات دبلوماسية، وربما كان الدافع إلى بعضها أمله في أن يكون له ولد [٦].

---

(١) شاخو (١٨٤٥ . ١٩٣٠م) ألماني، أستاذ بجامعة برلين، له الكثير من الدراسات عن الإباضية، المستشرقون ٢/ ٣٨٨.

(٢) توماس أرنولد، الدعوة الإسلامية، ص ٤٨.

(٣) الفكر الإسلامي المتوازن، لجنة التعرف بالإسلام بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ص ٦١، ٦٩ بتصرف، ط/ المجلس الأعلى، القاهرة، سنة ٢٠٠٤م.

(٤) عمر الدسوقي، في الأدب الحديث، ج ١ ص ٣٧٢، ط/ الرسالة، عابدين، سنة ١٩٩٤م.

(٥) رغم ما له من افتراءات شنيعة، حيث زعم أنَّ النبي ﷺ مجرد داعية وليس نبياً، قصة الحضارة ١٣/ ٤٣، بل واتهم النبي ﷺ بالبربرية، السابق ١٣/ ٣٥.

(٢) قصة الحضارة، ج ١٣ ص ٢٤.

وفي مبحث القدر وعلاقة علم الله ومشيئته بمسئولية العبد عن عمله أكد.

المستشرق الفرنسي لويس غارديه [١] على أن وجهة نظر الإسلام صحيحة وشافية ويسيرة وبعيدة عن الإشكاليات الفلسفية، ويوضح أن هناك في هذا الصدد مجالين: مجال الإرادة الإلهية التي تعرف بالحرية المطلقة والشمول الكامل.

ومجال المسئولية الإنسانية الاختيارية التي يتعلق بها الثواب والعقاب فقال:

وقد طرحت مسألة تناقض القرآن، وفي هذا الخصوص فإن الفرق الإسلامية ذاتها قد خالفت بعضها البعض، وفي الحقيقة فإن ورود هذا الأمر في القرآن هو مجرد تقريرات متضادة [٢] ومتكاملة تهدف إلى إثارة السلوك المطلوب تجاه الله في قلوب المؤمنين، إنَّ القرآن لا يطرح عقيدة القدر، وهو لا يطرح إشكاليات، ولا المشكلة الفلسفية المتعلقة بطبيعة الحرية الإنسانية، إنه يثير فقط سر العلاقة بين الخالق والمخلوق، وهو أيضاً لا يطرح إشكالية طبيعة الشر في قوله: ﮋ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﮊ (الصافات: ٩٦) نعم،ولكنه يقول أيضاً:ﮋ □□□ □□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ ﮊ (النساء: ٧٩).

إننا لا نستطيع إلا أن نقول: هذا الموضوع على مستويين، فعلى المستوى الزماني المتعلق بتمام الرسم الإلهي للعالم، فإن الإنسان يُجازى حسب أعماله، وهناك جزاء سيتلقاه المؤمن، وهناك عذاب سينال المتولّين، ففي اليوم الآخر تنال كل نفس ما كسبت، أما على المستوى المطلق للقدر فلا يوجد شيء يحد من مشيئة الله وأمره، فإن الله يصطفي من يشاء" [٣] وفي هذا رد على من ادعى جبرية الإسلام.

وهكذا في سائر أبواب الشبهات سنجد أقوالاً للمهتدين والمنصفين، تدرؤها.

---

(١) لويس غارديه (ت ١٩٠٤م) فرنسي، أستاذ الفلسفة المقارنة والإسلاميات في جامعة تولوز، حاضر في روما والجزائر والقاهرة وبيروت، من مؤلفاته: المدخل إلى علم أصل الدين الإسلامي، المستشرقون للعقيقي ٣/ ٢٨٠.

(٢) هكذا في الترجمة: وأرى أن الأولى كلمة: متقابلة.

(٣) Connaitre I, Islam, Garded p 25 - 26 نقلاً عن: نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، ص ٢٢٣.

ب ـ تأييد العلم الحديث للقرآن الكريم والسنة النبوية:

لعل أبرز دراسة واضحة المعالم للدلالة على هذا المعنى، دراسة موريس بوكاي الذي قال ـ كما سبق ـ "لو كان كاتب القرآن إنساناً كيف استطاع في القرن السابع من العصر المسيحي أن يكتب ما اتضح انه يتفق اليوم مع المعارف العلمية الحديثة" [(١)].

وهناك علماء غربيون كثيرون قد أعلنوا عن اعتناقهم للدين الإسلامي بناءً على تأمل الآيات القرآنية التي تذكر حقائق علمية لم تعرف في الميدان العلمي إلا في العصر الحديث، ومن هؤلاء عبد الله أليسون رئيس قسم الهندسة الإلكترونية بجامعة لندن الذي أعلن إسلامه سنة ١٩٨٥م، وقال: إن الإسلام كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يتضمن حقائق لا تتعارض مع علوم اليوم، وعدد كبير من زملائي.. لو فهموا الإسلام لدخلوا فيه [(٢)] ومنهم الدكتورة/ عائشة أميج، والدكتور/ مارشال جونسون.. وغيرهم [(٣)].

ج ـ الواقع التاريخي لدى المنكرين:

ما أنكره المستشرقون والكنيسة والغرب على الإسلام والمسلمين في إباحة تعدد الزوجات ـ بشروط ـ كان مقرراً في العالم الغربي وعند الكنيسة حتى القرن السابع عشر.

فقد أفتى القديس أوغسطين بإباحة التسري لمن عقمت زوجته، كما بحث المشرِّع جوريتوس موضوع التعدد من الناحية الفقهية، وصوَّب شريعة الآباء في العهد القديم، وبناءً على هذا ظلت الدولة والكنيسة تقران تعدد الزوجات حتى القرن السابع

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص ١٤٥.

(٢) أسماء الجهيني، من عالم الشهرة إلى رحاب الإيمان، ص ٩٠، دار الهدي، الجزائر، د ت، ومحمد حلمي، علماء الغرب يدخلون الإسلام، ص ٢١، النهضة العربية للصحافة، القاهرة، ط/١، سنة ١٩٧٠م.

(٣) علماء الغرب يدخلون الإسلام، ص ١٣.

عشر، كما أكد ذلك المؤرخ المختص في تاريخ الزواج وسترك مارك [1].

ويذكر غوستاف لوبون أنه كان في الكعبة حين ظهور محمد ٣٦٠ صنماً وصورة، وكانت صورة المسيح ومريم العذراء من هذه الصور كما جاء في تواريخ العرب [2].

وهذا باطل بلا ريب واقعاً وتاريخاً.

فإنه لو كان الخطب كما يتقوّل فلماذا لم ينقل عن مشركي مكة أنهم كانوا يعبدونهما كما كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة، ولماذا لم يصدر عنهم كلمة واحدة في شعر أو نثر يشيرون إلى هذا الإفك؟

وأين هي تواريخ العرب التي يدعي أنها ذكرت ذلك؟

إنَّ موروثات القوم وخلفياتهم تعبث بالواقع والتاريخ ومسلمات العقول.

د . العقـل الصحيـح:

إن دلالة العقل مسلمة عند العقلاء أجمعين، وقد استخدم القرآن المجيد هذه الطريقة عندما رد على زعم المشركين أن الرسول ﷺ أخذ القرآن عن رجل أعجمي، فقال:

ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﮊ (النحل: ١٠٣).

فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من كل كتاب.. كيف يتعلم من رجل أعجمي؟

ويثبت كارليل صحة رسالة الإسلام وصدق النبي ﷺ بهذه الطريقة فيقول: الرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمان لملايين كثيرة من البشر، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة أكذوبة كاذب أو خديعة خادع؟ هل رأيتم رجلاً كاذباً يستطيع أن يخلق ديناً ويتعهده بالنشر بهذه الصورة؟ إنَّ الرجل الكاذب لا

---

(١) عباس محمود العقاد، الشيوعية والإنسانية، ص ٢٩٠، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ت، وانظر: العقاد، الفلسفة القرآنية، ص ٤٨، ط. دار نهضة مصر، القاهرة، د ت.

(٢) حضارة العرب . له . ص ٩٩.

يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله لخصائص مواد البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة، وتسكنه هذه الملايين الكثيرة.. وعلى ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً رجلاً كاذباً متصنعاً متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع.. وما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق... وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله[١].

هـ ـ مصادمة الشبهة لمصادر ومعتقدات مدعيها، فلازم شبهتهم فيه فساد مذهبهم لأنهم يسيرون على طريقة، رمتني بدائها وانسلت.

و ـ التبيــان:

لما كانت أكثر شبهات المستشرقين وأشباههم مردها إلى الجهل وقلة المحصول العلمي بالإسلام كما أقر بذلك المنصفون منهم [٢].

فإن مواجهة ضلالات هؤلاء تستلزم غزارة الثقافة الإسلامية وذلك يكون بشرح القضية وإيضاح الحق فيها.

وفي هذه المرحلة يتعين عليه القيام بما يلي:

١ ـ بيان ضعف الرواية التي اعتمد عليها واضع الشبهة، فإن أكثر أدلتهم موضوعة أو ضعيفة، أو بطلان وجه دلالتها عند أهل الفن.

٢ ـ الإحاطة بمسألة البحث رواية ودراية، والنظر إلى نصوص الإسلام وتعاليمه وتطبيقات العصور الذهبية له.

٣ ـ إيضاح الأدلة ووجوه دلالتها.

٤ ـ تحرير محل النزاع، وموطن الشبهة.

٥ ـ إزالة سبب الشبهة بتجلية الحقائق ومعرفة حقيقة الأسباب والعلل.

---

(١) كارليل، الأبطال، ص ٥٨.

(٢) أقر بذلك آبري في لقائه بالدكتور/ مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون، ص ٥٩.

وليحذر دافع الشبهة من الاستطالة في عرضها والمبالغة في الافتراضات المتعلقة لئلا ينتفع واضع الشبهة من ذلك، فإنَّ الشبهة قد تدفع إلى شبهة أخرى أشد خطورة من الأولى فيزداد الخطب شدة، وربما عجز المدافع عن استئصال الشبهة الأولى.

كما أن الشبهة قد تعلق بأذهان فيصعب إزالتها.

ولنا في طريقة القرآن أعظم أسوة في عرض الشبهة ومحقها، ففي معرض الرد على منكري البعث يقول: ژگگگڳڳڳڳگگگڱڱںںڻڻۀۀہہہھھھےےۓۓﮮﮯﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿژ (يس: ٧٨ . ٨٣) فانظر إلى المعالم التي أرستها هذه الآيات في مجابهة الشبهات والافتراءات، ومنها:

. عرض الجواب الموجز قبل عرض الشبهة: ژگڳڳڳگژ.

. الاختصار في ذكر الشبهة: ژگگگڱںڻژ.

. البدء بالأجوبة العقلية والواقعية المسلمة.

. البرهان المبُهت، وهذا واضح في قوله: ژگڳڳژ.

. الإعراض عن ذكر اسم قائل الشبهة.

. هجر السباب والشتم والرد على اللعن باللعن ونحوه.

. الاستفاضة في ذكر الحجج المشاهدة اليقينية ژڻۀۀہہہھھھےےۓۓﮮﮯﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿژ.

. عدم الخروج عن موضوع الشبهة.

. عدم الانتقال إلى الأدلة المحتملة، فرب دليل واحد ساطع أقوى من ألف دليل محتمل.

. الإكثار من الحجج إذا كان الخطب عظيماً.

. تنوع البراهين وشمولها لعدة أشياء.

رابعاً: المواجهــة العامــة للشبهــات:

وهناك دور عام يقع على عاتق الحكومات الإسلامية أولاً وكافة أفرادها ثانياً كل حسب قدره وقدراته.

ويمكن لنا أن نلخص خطوات هذه المواجهة في التوصيات الآتية:

١ . نشر اللغة العربية في العالم، وصيانتها من اللهجات العامية والكلمات الوافدة واللحن في نطقها وكتابتها تيسيراً في نشر التراث الإسلامي ومدارسة القرآن الكريم وعلوم الإسلام.

٢ . الحضور الحقيقي والفعَّال في الغرب بإرسال جماعات من العلماء المتخصصين والدعاة المتميزين إلى الندوات والمؤتمرات... التي تعقد عن الإسلام في الدول غير الإسلامية.

٣ . تيسير نشر الكتب الإسلامية النافعة والقنوات الفضائية الصالحة والصحف والمجلات الهادية في الخارج.

٤ . تنقية التراث الإسلامي مما علق به من الأفكار الضالة على يد الفرق المبتدعة والحركات الشاذة والمستشرقين،والتنبيه على ما فيها من إسرائيليات أو موضوعات أو ضلالات... ومحو أو تغيير ما يتطلب ذلك على أن يخرج هذا العمل في ثوب قشيب تحت اسم: النسخة المعتمدة أو الصحيحة، ويتم مثل هذا في الكتب الدراسية في مراحل التعليم جمعاء.

٥ . وضع منهاج للتثقيف الإسلامي العام باختيار البحوث والتصانيف التي يحتاج إليها كل مسلم ومسلمة.

٦ . التوعية الإسلامية العامة بمستويات تتناسب مع أحوال الجماهير المختلفة.

٧ . فضح دسائس أعداء الإسلام الفكرية والعلمية وغيرها.

٨ . استخدام كافة أنواع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة لنشر الصورة الأصلية،مع تخصيص قنوات فضائية خاصة لرصد آراء وأقوال المستشرقين والضالين ومحقها.

٩ . الدراسة الواعية للاستشراق، وفقه أهدافه، ومتابعة أعماله، وملاحقة آثاره، ومراقبة مؤتمراته، ونقد أفكاره، ومحق مطاعنه ودحض شبهاته وتحصين العالم الإسلامي من مكره، وتقويم مناهجه.

١٠. تنشئة جيل من الدعاة النابهين المخلصين المجيدين للإنجليزية أو غيرها من اللغات الحية، وتشجيعهم مادياً ومعنوياً، وإعدادهم علمياً وخُلُقياً، والعمل على تواصلهم وتبادل خبراتهم وتنظيم لقاءاتهم وندواتهم، وتكوين هيئات واتحادات لهم في كل دولة، مع الاهتمام بإعداد الداعيات من النساء.

١١. إعداد دائرة معارف إسلامية صحيحة تعرض الصورة الحقيقية للإسلام، وتعرض المواد التي بحثتها دائرة معارف المستشرقين عرضاً علمياً سديداً ومتميزاً، مع الرد على الشبهات التي أثارتها دائرة المعارف الإسلامية التي صنفها المستشرقون ونشرها في سائر أرجاء المعمورة.

١٢. إصدار سلاسل علمية لجماعات من العلماء المتخصصين والمتميزين في نقد الروايات التاريخية والإسرائيليات والآراء الشاذة في العلوم الإسلامية جمعاء، وتقديم البدائل الجيدة والتصانيف النافعة بلغة العصر أسلوباً وبحثاً مع تحقيق أشهر واهم المؤلفات في المعارف الإسلامية.

١٣. تصنيف ترجمات فائقة لمعاني القرآن العظيم بسائر اللغات واللهجات.

١٤. الوقوف بالمرصاد لأبناء جلدتنا المقتفين لخطى المستشرقين وعدم تمكينهم علمياً وإعلامياً، ومنع كل من تسول له نفسه منهم من نشر فكره سداً للذريعة ودرءاً للمفسدة، واستبدال ذلك بمجادلتهم بالتي هي أحسن... إضافة إلى وجوب إصلاح الإعلام، مع إنشاء كليات متخصصة للإعلام الإسلامي لنشر التدين

الصحيح، والتحذير من الشبهات والدعوات المشبوهة والأنشطة المعادية للإسلام التي تتقنع في مؤتمرات العلوم الإنسانية ونوادي الصداقة والنوادي الاجتماعية كالروتاري والليونز وغيرها.

١٥. الاستعاضة عن البعثات العلمية إلى الدول الأوربية والأمريكية والاقتصار عليها داخل العالم الإسلامي خاصة في ميدان العلوم الإنسانية.

١٦. يجب أن يُنشأ في الكليات الشرعية جمعاء مراكز متخصصة في الدراسات الاستشراقية والأفكار الهدامة لاسيما المتصلة بتخصص كل كلية.

١٧. وجوب إلزام طلاب العلم في كافة الميادين بمادة الثقافة الإسلامية في سائر سنوات التعليم المدني على أن تكون هذه المادة محتوية على المجمع عليه بصورة موجزة في العقيدة والفقه والتفسير والحديث... وغيرها،وأن تكون بلغة مشوقة ومؤثرة بعيدة عن التكلف والجدل، وأن تشتمل مراحل التعليم الثانوي والجامعي على عرض القضايا التي يثير المستشرقون وغيرهم حولها الشكوك والشبهات عرضاً علمياً رصيناً، مع وجوب تنقية مناهج التعليم ووضعها على أسس إسلامية، والعناية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي والسير بما يتفق مع البحث العلمي الدقيق،وإزالة النظريات الضالة . كنظريات فرويد ودارون... . من العلوم التجريبية والإنسانية.

١٨. العمل الدءوب على تغيير صورة الإسلام في الخارج، ومجابهة الإعلام الغربي الحاقد، مع العناية الدائمة بأحوال الأقليات الإسلامية في العالم، وتذليل العقبات التي تناوئهم، وتحصينهم من الشبهات والافتراءات، وإرسال الدعاة الأكفاء لتعليمهم، إذ أنهم أول من يصيبهم أباطيل المستشرقين.

١٩. الاستفادة من الحركات الإسلامية المؤهلة لسد النقص الملموس في مجال الدعوة في الداخل والخارج، ومحاولة جمع كلمتها وتخفيف خلافاتها ومراقبة العلماء لها.

٢٠. الدراسة الفاحصة والناقدة لحضارة الغرب وتراثه وعلومه وتقاليده وميوله

ورغباته، وإظهار هذه الدراسات في صورة إنشاء كراسي وتأليف كتب، وترجمة مصنفات، وتحقيق مخطوطات، وإعداد دوائر معارف... وذلك لنتحول من مدافعين إلى مهاجمين.

٢١. تفعيل دور مجلس المساجد العالمي الذي تنشق منه مجالس أو هيئات تضم جهود الدعوة في كل قطر . و مجموعة أقطار متجاورة . لمحاولة عودة الخلافة الإسلامية، وتذليل سبل نشر الدعوة، والعمل على وحدة المسلمين، وتكامل الأعمال الدعوية وسد النقص، وإزالة الإفراط والتفريط، ورد الهجمات الشرسة ضد الإسلام.

٢٢. عدم نشر تصانيف المستشرقين وأفكارهم إلا مع بيان الجواب الكافي لما فيها من افتراءات، وإبراز الرد بخط أكبر من خط الشبهة.

٢٣. تغيير ميادين الحياة كافة لتصبح موافقة للشريعة الإسلامية.

٢٤. المراقبة الشديدة للمناهج والمدرسين والطلاب في المدارس والجامعات الأجنبية داخل العالم الإسلامي.

٢٥. إعادة الأزهر الشريف إلى سيرته الأولى وعصره الذهبي.

۞ ۞ ۞

الخـاتمـــــة

وبعد فهذا قليل من كثير عن أساليب شبهات المستشرقين وكيفية مواجهتها، استبان لنا من خلال عرضها وتحليلها ومناقشتها ما يلي:

١ . كثرة الشبهات وقلة أساليب وضعها، وذلك لأن الأساليب تمثل المنهاج

العام الذي يتبعه كثير من المستشرقين.

٢ . من الأساليب المهمة التي يستغلها المستشرقون في دعاويهم التحيز، والتوهم، والتشويه،والتشكيك،والتحريف،والتدليس،والاختلاف،والخداع،والتعمية، وقلب الحقائق أو العكس، ولي النصوص، وتجزئتها، وحذف شيء منها، وإلقاء التهم، والاعتماد على الروايات الواهية والموضوعة وهجر الصحيحة، والاعتقاد ثمَّ الاستدلال.

٣ . كان لهذه الأساليب آثار خطيرة وسيئة على العالم الإسلامي في سائر جنبات الحياة.

٤ . وجوب تكاثف وتكامل وتنوع الجهود الفردية والجماعية من العلماء والباحثين والدعاة والمصلحين وغيرهم... لمحق افتراءات المستشرقين وتجلية الصورة الحقيقية للإسلام، مركزين في ذلك على درءِ الشبهات من آراء المستشرقين أنفسهم ببيان نقد بعضهم لبعض وإظهار تناقضهم، وردِ المهتدين والمنصفين منهم على مجحفيهم وحاقديهم، وإيضاح موافقة الحديث لنصوص الإسلام وتعاليمه، وكذلك موافقة العقل الصحيح وتاريخ المخالفين لها، ثم تبيين الحقائق العلمية الصحيحة فيما يتعلق بموضوع الشبهة.

٥ . من نِتاج البحث جلاء أساليب شبهات المستشرقين، وكشف الطرق السديدة لنقض أقاويلهم، وكيفية مواجهتها على المستوى الخاص والعام.

توصيـات البحـث:

وقبل أن أنفض القلم أود أن أوصي بما يلي:

١ . أوصي بإعادة ترجمة أعمال المستشرقين المهتدين للإسلام، والمستشرقين المنصفين، فإننا نستبصر في بعض هذه الترجمات تضارباً مع السياق مما يقلب المعنى أحياناً، فندفع إلى الشك في أحوال المهتدين والمنصفين.

٢ . وأوصي أيضا بوضع أطروحة علمية عالمية (دكتوراه) حول أساليب شبهات المستشرقين، أو تخصيص كل أسلوب ببحث علمي مستقل.

٣ . كما أوصي بإعداد أطروحات علمية حول الشبهة، أسلوباً ومواجهة، يتناول فيها الباحث تاريخ الشبهات وخطورتها وأساليبها ومواجهتها، سواء كانت من

المستشرقين أو من زائغي الفرق الإسلامية.

٤ . وأرجو أن تفعل الاقتراحات والتوصيات التي وضعتها في جانب المواجهة العامة للشبهات.

❋ ❋ ❋

فهـــرس المراجــــــع

(١) أجنحة المكر الثلاثة، د/ عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط/٨، سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

(٢) الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة: د/ عمر فروخ، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٨٧م.

(٣) التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د/ مصطفى الخالدي، و د/ عمر فروخ، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط/٥، سنة ١٩٧٥م.

(٤) الإسلام عام ٢٠٠٠م، مراد هوفمان، ترجمة: عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ط/١، سنة ١٩٩٥م.

(٥) الإسلام خواطر وسوانح، هنري دي كاستري، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، دار الفرجاني، القاهرة، د ت.

(٦) الإسلام كبديل، مراد هوفمان، ترجمة: عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ط/١، سنة ١٩٩٧م.

(٧) الإسلام منهج حياة، فيليب حتى، ترجمة: د/ عمر فروخ، نشر: دار العلم للملايين، ط/٢، سنة ١٩٧٩م.

(٨) الإسلام والاستعمار (عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث)، رودلف بيترز، نشر: دار شهدي للنشر بالتعاون مع المعهد الهولندي للآثار المصرية والبحوث العربية، سنة ١٩٨٥م.

(٩) الاستشراق وجه للاستعمار الفكري، د/ عبد المتعال الجبري،، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

(١٠)دفاع الإسلام ضد مطاعن التبشير، د/ محمد الفاتح مرزوق، نشر: دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٢م.

(١١) بين الإسلام والغرب . ضراوة أحقاد ومرارة حصاد .، د/ علي عبد الوهاب،

ط/ دار ركابي، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
(١٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ترجمة: منير البعلبكي، ونبيه فارس.
(١٣) تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: د/ عبد الوهاب عبد اللطيف، ط/٢، سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.
(١٤) تفسير ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ط/ دار الفجر، القاهرة، ط/ أولى، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
(١٥)حضارة العرب، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط/٢، سنة ١٩٨١م.
(١٦) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، الزهراء للإعلام العربي، ط/٧، سنة ١٩٨٦م.
(١٧)الدعوة إلى الإسلام،توماس أرنولد،ترجمة: حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ط/٣، سنة ١٩٧٠م.
(١٨) دفاع عن العقيدة والشريعة،الشيخ/محمد الغزالي، ط/ دار الكتب الإسلامية، القاهرة، سنة ١٩٨٨م.
(١٩) دفاع عن الإسلام، لورا فيشيا فاغيلري، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٥، سنة ١٩٨١م.
(٢٠) سنن الترمذي، نشر: دار الفجر للتراث، القاهرة، سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
(٢١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فاروق بيضون، وكمال دسوقي، منشورات دار الآفاق الجديدة.
(٢٢) رد مفتريات على الإسلام، د/ عبد الجليل شلبي، دار القلم، الكويت، ط/١، سنة ١٩٨٢م.
(٢٣) دائرة المعارف الإسلامية، أقطاب المستشرقين، ترجمة: محمد ثابت الفندي ورفاقه، دار المعرفة، بيروت، د ت.

(٢٤) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د/ مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/١، سنة ١٩٩٦م.
(٢٥) صحيح البخاري،مع فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، نشر: دار الريان، القاهرة، سنة ١٩٨٧م.
(٢٦) صحيح مسلم بشرح النووي، نشر: دار الريان للتراث، القاهرة، د ت.
(٢٧) الطريق إلى الإسلام، محمد أسد (المستشرق المسلم)، دار العلم للملايين، بيروت، ط/٥، سنة ١٩٧٧م.
(٢٨) علماء الغرب يدخلون الإسلام،محمد حلمي،النهضة العربية للصحافة،القاهرة، ط/١، سنة١٩٩٤م.
(٢٩) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، د/ موريس بوكاي، نشر: دار الفتح للإعلام الغربي، القاهرة، سنة ٢٠٠٦م.
(٣٠) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د/ محمد البهي، نشر: مكتبة وهبة، القاهرة، ط/١٠.
(٣١) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة: محمد بدران، دار الجيل، بيروت، د ت.
(٣٢) الكتاب المقدس . عندهم ..
(٣٣) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، د/ عبد الرحمن حبنكه الميداني، نشر: دار القلم، دمشق، ط/٣، سنة ١٤١ذ٩هـ/ ١٩٩٨م.
(٣٤) لسان العرب، ابن منظور، ط/ دار الشعب، القاهرة.
(٣٥) ما يقال عن الإسلام، عباس محمود العقاد، دار الهلال، القاهرة، د ت.
(٣٦) محمد رسول الله، ناصر الدين دينيه، وسليمان بن إبراهيم، ترجمة: د/ عبد الحليم محمود، نشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت.
(٣٧) محمد في مكة، مونتغمري وات، ترجمة: شعبان بكرات، المكتبة العصرية،

صيدا، بيروت، د ت.

(٣٨)محمد في المدينة، مونتغمري وات، ترجمة: شعبان بركات، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د ت.

(٣٩) مختصر الشمائل المحمدية، أبي عيسى الترمذي، اختصار وتحقيق: محمد نصار الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط/٣، سنة ١٤١٠هـ.

(٤٠) المستشرقون، نجيب العقيقي، القاهرة، سنة ١٩٦٥م.

(٤١) الملل والنحل، الشهرستاني، أبو الفتح محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ط/ مصطفى الحلبي، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

(٤٢) موسوعة المستشرقين،د/ عبد الرحمن بدوي،دار العلم للملايين، ط/١، سنة ١٩٨٤م.

(٤٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، ت ٥٠٢هـ، نشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(٤٤) المؤتمر الدولي "المستشرقون والدراسات العربية والإسلامية"، إعداد: كلية دار العلوم، جامعة المنيا، مصر، سنة ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٤٥) نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي المعاصر، د،/ لخضر شايب، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط/ أولى، سنة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

(٤٦) هل انتشر الإسلام بالسيف: د/ عبد الودود شلبي، نشر: دار الراية.

(٤٧) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا، مكتبة القاهرة، ط/٦، سنة ١٩٦٠م.

فهرس الموضوعـــــات

الموضوع	الصفحة

* * *